

رحلة بين الشك واليقين

رحلة بين الشك واليقين

رواية

عبد الله المضاحكة

© جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى 2025



دار العرب

لِلدَّارِ الشَّامِ وَالشَّامِ وَالشَّامِ

دمشق - سورية - حلبوني الجادة الرئيسية

هاتف: 00963112247432

جوال: 00963940455593

daralaraab@yahoo.com

عبد الله المضاحكة

رحلة بين الشك واليقين

رواية



الشخصيات الرئيسية في رواية "بين الشك واليقين"

1. عبدالله : البطل الرئيسي في الرواية، يعيش صراعاً فكرياً بين الشك واليقين، ويمر برحلة بحث عن الحقيقة وسط تناقضات المجتمع والتقاليد.

عبدالله شخصية عميقة ومتألمة، تدفعه التساؤلات الوجودية لإعادة النظر في كل ما نشأ عليه، مما يجعله يواجه صراعات نفسية واجتماعية حادة.

2. سامي: الصديق المقرب لعبدالله، يتمتع بشخصية مستقرة ويمثل التوازن العقلي في الرواية.

يمثل سامي الجانب العقلاني في حياة عبدالله، حيث يحاول دائماً تقديم وجهات نظر منطقية تساعد البطل في رحلته الفكرية، لكنه يختلف معه أحياناً في بعض القضايا.

3. جورج: شخصية ثانوية لكنها مؤثرة، يمثل الفكر الغربي والانفتاح الثقافي في الرواية.

جورج يضيف بعداً فلسفياً للرواية من خلال نقاشاته الفكرية مع عبدالله، والتي تفتح له آفاقاً جديدة في البحث عن الحقيقة.

4. مايكل : شخصية ذات تأثير فكري في الرواية، ربما يمثل نموذجاً للأفكار المختلفة التي يتعرض لها البطل.

مايكل يظهر في بعض الأحداث ليؤثر على طريقة تفكير عبدالله، حيث يطرح وجهات نظر قد تكون صادمة له.

5. إيما : الشخصية النسائية الأبرز في الرواية ، تلعب دوراً عاطفياً وفكرياً في حياة عبدالله.

إيما قد تكون رمزاً للحب والتحدي في آنٍ واحد ، حيث تشكل عنصراً مهماً في تطور أفكار ومشاعر البطل خلال رحلته.

6. الأب : يمثل الجيل التقليدي ، وهو شخصية محافظة تعكس تأثير العادات والمجتمع على تفكير عبدالله.

الأب في الرواية يواجه صعوبة في تقبل التغيرات الفكرية التي يمر بها ابنه ، مما يخلق توتراً بينهما.

7. الأم : شخصية أكثر احتواءً ، تحاول دعم ابنها لكنها تخشى تأثير أفكاره على حياته.

تمثل الأم الجانب العاطفي والداعم في حياة البطل ، لكنها تجد نفسها ممزقة بين تعاطفها معه وخوفها من انعكاسات أفكاره على مستقبله.

الشخصيات الثانوية

- شخصيات من القرية: تمثل الخلفية الاجتماعية للرواية ، وتعكس التقاليد والقيم السائدة.

- أصدقاء عبدالله الجدد: شخصيات تساهم في تغيير أفكاره وتوسيع آفاقه الفكرية.

هذه الشخصيات تشكل نسيج الرواية ، حيث تتداخل مصائرهم لتكون قصة تدور حول البحث عن الحقيقة وسط مجتمع مليء بالتناقضات.

نبذة عن الرواية "رحلة بين الشك واليقين"

تدور الرواية حول عبدالله، شاب نشأ في بيئة دينية محافظة لكنه كان يحمل بداخله تساؤلات عميقة حول الدين والمجتمع. عندما يسافر إلى بريطانيا للدراسة، يجد نفسه أمام عالم جديد مليء بالأفكار المختلفة، مما يدفعه إلى رحلة فكرية صعبة بين الشك واليقين.

يبدأ في استكشاف المسيحية، اليهودية، وتأثير الفكر الصهيوني على المجتمعات الغربية، ويتعرف على شخصيات مثل إيما، مايكل، والقس جورج الذين يساهمون في تغيير نظرتهم للحياة. خلال رحلته، يدرك أن الحقيقة ليست مطلقة، بل هي بحث مستمر، مما يدفعه في النهاية إلى التفكير في إنشاء مركز دراسات لكشف التلاعب الفكري في الأديان والسياسة.

المقدمة

في قرية صغيرة محاطة بالكثبان الرملية وأشجار النخيل، نشأ عبدالله على وقع الأذان وأصوات الشيوخ وهم يسردون القصص عن الماضي المجيد. كل شيء كان يسير وفق نظام محدد، لا مجال فيه للتساؤل أو الشك. الدين لم يكن مجرد إيمان، بل كان هوية، ثقافة، وسلطة تحدد كل شيء: من طريقة اللباس، إلى من يحق له السؤال، ومن يجب عليه الصمت.

لكنه لم يكن مثل الآخرين. منذ صغره، كان يحمل في داخله قلقاً خفياً، تساؤلات محرمة لا يجرؤ على البوح بها. لماذا تبدو بعض تعاليم الدين وكأنها عادات اجتماعية أكثر من كونها أوامر إلهية؟ لماذا يعظون الناس بالزهد وهم ينعمون بالثراء؟ لماذا يُحكم على المختلفين بسرعة، دون أن يُمنحوا فرصة للفهم؟

لم يكن الأمر مجرد تمرد عابر، بل شعور داخلي يتضخم مع كل موقف يعيشه. كان يسمع والده وأهل قريته وهم يتحدثون عن "الغرب الكافر"، عن أخلاقهم المنحلة، عن عقلياتهم الفاسدة. لكنه في الوقت ذاته كان يشاهد بعض السياح الإنجليز الذين يزورون قريتهم: لطفاء، مهذبين، يعاملون الجميع باحترام. كيف يمكن أن يكونوا كفاراً وهم أكثر أخلاقاً من بعض رجال الدين في قريته؟

كان يحاول إسكات هذه الأفكار، لكنه لم يستطع. كان يشعر وكأن هناك جداراً يفصله عن الحقيقة، جداراً شيده المجتمع حوله، يمنعه من رؤية ما خلفه.

ثم جاءت الفرصة. فرصة لم يكن يتوقعها، لكنها كانت الوحيدة التي قد تمنحه إجابة: السفر إلى بريطانيا للدراسة. في عيون الجميع، كان هذا مجرد رحلة أكاديمية، لكنه كان يعلم في أعماقه أنها أكثر من ذلك. كانت فرصة للهروب من الأسئلة التي تحاصره... أو ربما لمواجهةها أخيراً.

لم يكن يعلم أن هذه الرحلة لن تجلب له الإجابات فقط، بل ستقلب حياته رأساً على عقب، وستجعله يرى الدين، المجتمع، وحتى نفسه، بطريقة لم يتخيلها من قبل.

في بريطانيا، وجد عبدالله نفسه في عالم جديد تماماً. هناك، في قلب لندن، كانت الحياة تسير بوتيرة مختلفة، لا شيء كان كما اعتاد عليه في قريته. المباني الحديثة، الشوارع المزدحمة، والناس الذين يبدوون مشغولين في عالمهم الخاص، وكل شيء كان يقول له: "هنا، لا أحد يحكم عليك".

أيامه الأولى كانت مليئة بالحيرة. كان يستكشف المدينة، يحاول التأقلم مع الحياة الجديدة، وكلما دخل في نقاش مع أصدقائه من مختلف الجنسيات، كانت الأسئلة تتراكم في رأسه أكثر. كيف يعيش هؤلاء الناس بهذه الحرية؟ كيف يمكنهم أن يختلفوا في معتقداتهم وأيديولوجياتهم دون أن يكون ذلك سبباً للنزاع؟ وهل هناك حقاً إجابة واحدة فقط لكل شيء؟

لكن الحقيقة كانت أكثر تعقيداً من ذلك. فبينما كان عبدالله يلتقي بأشخاص ينتمون إلى ثقافات وأديان مختلفة، بدأ يكشف أن التساؤلات التي كان يطرحها في ذهنه ليست مجرد مشاكل شخصية، بل هي أسئلة وجودية تتعلق بالإنسانية نفسها. وكان يشعر وكأن كل جواب

يحصل عليه يفتح أمامه أبواباً جديدة من التساؤلات، وكأن كل إجابة تقوده إلى متاهة لا نهاية لها.

كانت رحلة عبدالله في بريطانيا أكثر من مجرد تجربة دراسية. كانت رحلة لاستكشاف الحقيقة، ولمعرفة ذاته بعيداً عن جدران المجتمع الذي نشأ فيه. وكانت بداية لفصل جديد من حياته، فصل مليء بالأسئلة، والتحديات، والبحث المستمر عن الإجابات التي قد تكون بعيداً عن متناوله.

لكن هل كان سيجد الإجابة التي يبحث عنها؟ وهل ستقوده رحلته إلى فهم أعمق لما كان يشكل عالمه من قبل؟ أم أن الحقيقة ستكون أكثر تعقيداً مما يتخيل، وأن الإجابات ستكون أكثر ضبابية من أي وقت مضى؟

الفصل الأول: الرحيل والبحث عن الحقيقة

في قرية صغيرة نائية، حيث البيوت الطينية تتناثر بين الكشبان الرملية وتختفي في هدوء الحياة اليومية، كان عبدالله دائماً يشعر بأن ثمة شيئاً غريباً في قلبه وعقله. منذ أن كان صغيراً، كانت قرينته مكاناً تقليدياً، حيث كانت ممارسات الدين مرتبطة بالعادات الاجتماعية أكثر من أن تكون تجسيدا حقيقياً للإيمان. لم تكن الأسئلة تحظى بتقدير، بل كانت تثير الاستنكار: "كيف تجرؤ على التفكير فيما هو مسلم؟"

كان عبدالله ينشأ في ظل عادات راسخة، يقيم الصلوات في المساجد، يتلو القرآن بشكل روتيني، لكنه لا يستطيع أن يهرب من شعوره بأن هذه الممارسات لم تكن تعكس حقيقة الدين. فبينما كان يرى عائلته وأصدقائه يطبقون الدين بشكل تقليدي، كان عقله يزدحم بالتساؤلات: "هل هذا هو الإسلام الذي يجب أن أتبعه؟ وهل كل ما نتبعه من تقاليد يعكس فعلاً تعاليم الدين؟"

كانت الأسئلة تدور في ذهنه كدوامة لا تنتهي، وفي كل مرة كان يحاول أن يطرح أحدها، كان يجد نفسه محاطاً بالردود القاطعة: "لا تفكر كثيراً، هذا هو ما تربينا عليه، وهذا هو الصحيح." لكن قلبه لم يكن يهدأ، كان يشعر بأن هناك شيئاً أكبر مما يراه العين، شيئاً مفقوداً بين سطور العادات والطقوس.

ذات يوم، بينما كان في المسجد يصلي، شعر بشيء غريب يجتاحه. كان ينظر إلى المصلين من حوله، يفكر في كيف أن الجميع هنا يؤدون الصلاة كما تعلموا، لكن هل هم حقاً متصلون بما يفعلونه؟ هل الصلاة

هنا مجرد عادة أم هي دعاء حقيقي يربطهم بالخالق؟ لم يكن يعلم كيف يجيب، لكن هذا السؤال لم يتركه. كان مثل الزهرة الصغيرة التي تنمو في قلبه، تنمو مع كل خطوة يخطوها، مع كل كلمة يسمعها، مع كل نظرة كان يوجهها إلى من حوله.

وكانت تلك اللحظة بداية رحلة البحث التي لن تنتهي أبداً. رحلة لم يكن يعرف أين ستقوده، لكن قلبه وعقله كانا يدفعانه بقوة لتساؤلات جديدة، وأفكار جديدة، وطرق جديدة لفهم العالم من حوله. كانت تلك الرحلة ليست فقط للبحث عن جواب، بل كانت أيضاً بحثاً عن ذاته، عن ما يؤمن به بحق، بعيداً عن القوالب الجاهزة التي طالما فرضها عليه المجتمع.



عبد الله يقف في ساحة المسجد متأملاً بعمق بين الطمأنينة والتساؤل مما يعكس صراعه الداخلي

حوار مع الأب :

في إحدى الأمسيات، جلس عبدالله مع والده على الشرفة القديمة، بينما كانت الشمس تغرب وراء الأفق، وتسلفت خيوطها الذهبية عبر الأفق المفتوح.

"أبي، هل أنت متأكد من أننا على الطريق الصحيح؟" سأل عبدالله بصدق، وهو ينظر إلى وجه أبيه الذي كان عابساً في صمته.

أجاب الأب، وهو يتسم ابتسامة متكلفة: "نعم، بني، نحن على الطريق الصحيح. هذا ما علمناه آباؤنا، وهذه هي الطريقة التي نشأ عليها جيل بعد جيل."

"لكن أبي... نحن نصلي ونصوم، نعم، لكن أين فهمنا الحقيقي؟ أين التفكير العميق في المعاني؟ هل نعيش الإسلام حقاً أم أننا نعيش عادات؟"

كان الوالد ينظر إليه بعينين متعبتين، وكأنما يدرك أن السؤال يتطلب أكثر من مجرد إجابة سطحية. "عبدالله، لا تتعب عقلك بالتفكير في هذه الأمور. الدين بسيط، وعليك أن تتبع ما يقال لك. لا يوجد شيء معقد فيه."

كانت كلمات والده بالنسبة لعبدالله بمثابة حاجز بينه وبين فهم حقيقي للدين. كان يعلم في قرارة نفسه أن هناك شيئاً أعمق وراء هذه الممارسات. ومع مرور الوقت، كان عبدالله يشعر بأن حياته مليئة بالأسئلة المعلقة، وكان يغرق في بحر من التساؤلات التي لا يجد لها إجابات.

ظل عبدالله صامتًا لفترة، يراقب الأفق الذي يتلون بألوان الغروب الدافئة، بينما تتساقط أسئلة كثيرة في قلبه. كان يشعر بالضيق، وكأنما هناك فجوة كبيرة بين ما يراه في حياته اليومية وبين الحقيقة التي كان يسعى للعثور عليها.

"أبي، هل فكرت يومًا في معنى الصلاة؟" سأل عبدالله، محاولًا البحث عن أي نقطة بداية لفهم أعمق.

ابتسم الأب بحزن، وأجاب: "الصلاة هي طاعة لله، يا بني. هي عبادة مفروضة علينا. ما نحتاجه هو الانضباط، والعمل الصالح، ونحن نعمل ما علينا. أما الأفكار والتفكير العميق، فهي للعلماء والمتخصصين، وليس لنا أن نغرق في تلك المسائل."

لم يكن عبدالله يريد أن يخرج والده، ولكنه شعر أن هناك فارقًا بين ما يقال وما يُعاش. لم تكن كلمات أبيه كافية لتغذي فضوله. كان يريد شيئًا أكثر من مجرد طاعة بلا وعي. كان يريد أن يشعر بالإيمان، أن يفهمه من داخل قلبه لا من مجرد تقاليد.

"لكن هل يمكن أن يكون الدين أكثر من ذلك؟" قال عبدالله وهو يشعر بنبرة التحدي في صوته، رغم أنه كان يعلم أن هذا قد يزعج والده.

توقف الأب عن التحدث للحظة، ثم قال بحذر: "الدين ليس بحاجة إلى تفسير معقد، يا عبدالله. هو هداية من الله، ما نحتاجه هو الثبات في العبادة والعمل الصالح. لا تهدر وقتك في التفكير الزائد، فهذا قد يبعدك عن الطريق."

لكن عبدالله لم يكن يستطيع أن يتوقف. كانت الأسئلة تنمو في قلبه أكثر فأكثر. كانت رؤيته لما هو حوله تتغير، ومع كل سؤال كان يطرحه، كان يكتشف أبعاداً جديدة عن نفسه وعن الدين والعالم. جلس هناك مع والده، لكن عقله كان في مكان آخر، في مكان مليء بالأفكار التي تنتظر أن تجد لها مكاناً في عالمه الجديد.



عبد الله في قرية قديمة في نقاش مع المشايخ في قطر

حوار مع أحد الأصدقاء :

في صباح أحد الأيام، بينما كان عبدالله في السوق المحلية، التقى بصديقه المقرب، سامي. كان سامي أحد الشبان الذين تربوا في القرية، وكان يحمل نفس الثقافة التقليدية التي نشأ عليها عبدالله. لكن كان لدى عبدالله رغبة في طرح سؤاله عليه، على أمل أن يجد شيئاً من الأجوبة. "سامي، هل فكرت يوماً فيما نفعله؟ هل نتبع الإسلام حقاً كما هو أم أننا نعيش وفقاً لعاداتنا؟" سأل عبدالله بصوت منخفض، وهو يراقب وجوه الناس المارة.

ابتسم سامي بشكل ساخر وقال: "أنت تريد أن تفسر كل شيء. الإسلام بسيط جداً، أليس كذلك؟ نصلي ونصوم، ونمشي في الطريق الذي علمنا إياه آبائنا. هذا كل ما في الأمر." لكن عبدالله شعر بشيء غريب في قلبه، كأنما كانت هذه الإجابة لا تكفي لتروي ظمأه. "لكن هل لا يجب أن نفهم أكثر؟ أن نبحت؟" قال بصوت منخفض.

رد سامي بانزعاج: "لا وقت لهذه الأسئلة، يا عبدالله. اترك كل هذا، لا تعقد الأمور." ثم أضاف بسرعة: "لن يكون لدينا أي شيء إذا بدأنا في التفكير بهذه الطريقة."

لكن الكلمات التي قالها سامي تركت عبدالله في حيرة. "هل نحن حقاً على الطريق الصحيح؟ هل من المفترض أن أقبل بالإجابات الجاهزة؟"

ظل عبدالله واقفاً في السوق، ينظر إلى صديقه سامي الذي كان يتسم في وجهه، لكنه شعر بفراغ عميق في قلبه. كان يلاحظ في عينيه

نفس النظرة التقليدية، النظرة التي كانت تراه دائماً كـ "الشاب الذي يحب تعقيد الأمور". لكن في داخله، كان يشعر أن هناك شيئاً مفقوداً، شيء أكبر من مجرد الطقوس اليومية.

"سامي، ألا ترى أن هناك شيئاً مفقوداً؟" قال عبدالله وهو يحاول أن يقنع نفسه، أكثر من أن يقنع صديقه. "ألا تشعر أن هناك نوعاً من الانفصال بين ما نؤمن به وبين الطريقة التي نعيش بها؟"

أجاب سامي بنبذة حادة، وهو يلتقط بعض الخضروات من على الطاولة: "عبدالله، انظر حولك. الناس هنا يعيشون في سلام. لا وقت للتساؤل. يجب أن نعيش حياة بسيطة. هذه الأسئلة لن تجلب لنا سوى القلق. إذا كنت تبحث عن حقيقة جديدة في كل شيء، فلن تجد إلا الضياع."

كانت كلمات سامي كالصاعقة، لكنها كانت أيضاً تثير في قلب عبدالله شعوراً من الألم والشك. كان يريد أن يصدق صديقه، لكن شيئاً في أعماقه كان يرفض الإجابة السطحية. لماذا كان يشعر بأن هناك حقيقة أكبر في مكان ما، تنتظر أن يكتشفها؟ لماذا كانت الأسئلة في قلبه تتكاثر كلما كان يحاول تجاهلها؟

"لكن، ماذا عن الأمل؟" سأل عبدالله في محاولة أخرى. "ألا تعتقد أن الحياة تستحق البحث عن معناها؟"

أجاب سامي وهو يتسم مبتسماً بفكاهة: "الأمل؟ الأمل هو أن نتبع الطريق الذي سار عليه آباؤنا. كل شيء سيكون على ما يرام طالما أننا نتمسك بما نعرفه. الحياة ليست معقدة، لا تجعلها أكثر تعقيداً مما هي عليه."

لم يكن عبدالله يقتنع بكلام سامي، لكنه لم يجد طريقة للرد. كان يترك نفسه يغرق في أفكاره، وهو يدرك أنه لم يكن قادراً على ترك كل شيء كما هو. الأسئلة كانت تنمو في قلبه، وأمل الإجابة كان يشده إلى الأمام، في رحلة لم يكن يعرف إلى أين ستأخذه.

لحظة الحسم:

مع تزايد الأسئلة في رأسه، بدأ عبدالله يشعر وكأنه في فقاعة مغلقة. المجتمع حوله يرفض طرح الأسئلة الجادة أو الاستفهام عن المعتقدات. في قلبه كان يراوده الشعور بأن هذه العادات قد شوهت فهمه للدين. في إحدى الأمسيات، بينما كان يخطو في أحد شوارع القرية الضيقة، مرّ بجانب منزل كبير كان قد استضافه أحد الأقارب في حفل عشاء. من نافذة المنزل، كان يسمع أصوات الضحك والمناقشات التي تدور حوله، لكن أحداً لم يلتفت إلى تساؤلاته. في تلك اللحظة، شعر كأنما كل الأبواب مغلقة أمامه، وأنه لا مكان له هنا في هذا المجتمع الذي يرفض أن يطرح أسئلة.

"هل هذا هو المكان الذي أريد أن أعيش فيه؟" تساءل عبدالله، وهو ينظر إلى الحياة التي تسير من حوله بدون أي عمق أو فهم حقيقي. قرر بعدها أنه حان وقت الرحيل. السفر إلى بريطانيا لم يكن فقط فرصة للدراسة، بل كان هروباً من هذا السجن الفكري الذي أسره طوال سنواته.

في تلك الليلة، قرر عبدالله أنه حان الوقت لبحث عن نفسه بعيداً عن هذه الحدود الضيقة التي وضعها المجتمع حوله. شعور بالحرية تغلغل في قلبه مع كل خطوة اتخذها وهو يسير في شوارع القرية،

والظلال التي تلقيها المصابيح على الجدران كانت تبدو وكأنها تحيطه بكل الأفكار التي طالما حبسها في داخله.

"هل سأجد ما أبحث عنه في بريطانيا؟" تساءل بصوت منخفض، وهو يحاول أن يطرد شكوكه. في قلبه كان يعرف أن الرحيل سيكون بداية لفصل جديد، لكنه كان متردداً، لأن الرحيل يعني مواجهة المجهول. ومع ذلك، كانت الأسئلة التي تراوده أكبر من أي خوف.

بينما كانت العائلة تودعه في المطار، كانت نظرات والده مليئة بالقلق، لكن عبدالله لم يستطع أن يخبره بكل ما كان في قلبه. لم يكن مجرد السفر للحصول على شهادة أكاديمية، بل كان عن رحلة لاكتشاف الحقيقة، رحلة تحتاج إلى قلب شجاع وعقل مفتوح.

وأخيراً، عندما صعد إلى الطائرة، شعر بشيء من الراحة. لقد أصبح على بعد آلاف الأميال من تلك الجدران التي وضعها المجتمع حوله، وبدأ يشعر أن الطريق الذي سيخوضه سيمنحه فرصة لفتح نوافذ جديدة في عقله، في محاولته للبحث عن إجابات لما كان يختلج في قلبه. "لن أعود إلا وقد عرفت الحقيقة"، قال في نفسه، وهو يربط الأمل بالمجهول الذي ينتظره.

الرحيل إلى بريطانيا :

عندما بدأ عبدالله في التحضير للسفر، كان قلبه يموج بالأمل والخوف معاً. لم يكن يعلم ماذا ينتظره في بريطانيا، لكنه كان متأكداً من شيء واحد: أنه لن يظل عالقاً في دوامة الأسئلة التي لا جواب لها. كانت هذه فرصته لكي يبحث عن إجابات، أن يواجه أفكاراً جديدة، ويكتشف حقيقة ما كان يفتقده.

في لحظة وداعه لعائلته، شعر بحزن غريب. كانت والدته تمسك بيده وتدعو له، بينما كانت عيناها مليئتين بالقلق. أما والده، فكان ينظر إليه بحذر وكأنه يريد أن يثنيه عن قراره. "اعتمد على نفسك يا عبدالله، لكن لا تنس من أين أتيت. لا تتبعد كثيراً عن عاداتنا." كانت هذه الكلمات تلتصق في ذهنه وهو يغادر الطائرة ويبدأ رحلته في عالم جديد.

بينما كانت الطائرة تحلق فوق السحب، كان عبدالله يجلس في مقعده، يسترجع كلمات والده في ذهنه. "لا تتبعد كثيراً عن عاداتنا." كان يشعر بثقل هذه الكلمات، لكنها في ذات الوقت كانت تمنحه قوة إضافية لمواصلة طريقه. في داخله كان يعرف أن هذا هو القرار الصحيح، رغم أن الرحيل لم يكن سهلاً أبداً.

عندما هبطت الطائرة في مطار لندن، شعر بشيء غريب يتملكه. كان كل شيء مختلفاً هنا: الأجواء، الوجوه، حتى الهواء. كان الناس يمرون من حوله، كل منهم مشغول في عالمه الخاص، ولا شيء يذكره بالعالم الذي تركه وراءه. المدينة الصاخبة، الشوارع المزدحمة، الأبنية العالية التي تعكس ضوء الشمس بطريقة غير مألوفة، كلها كانت تحمل في طياتها فرصاً جديدة. ولكن أيضاً، كانت تثير فيه مشاعر من الوحدة، وكأنه قد أتى إلى مكانٍ بعيدٍ جداً عن كل شيء يعرفه.

في الأيام الأولى، كانت الحياة في لندن محيرة. كانت الأمور تبدو معقدة جداً بالنسبة لعبدالله: كيف يتعامل مع الناس هنا؟ كيف يواجه تحديات الحياة الجديدة؟ ولكن، ومع مرور الوقت، بدأ يتأقلم مع هذه البيئة المختلفة. بدأ يكتشف أن العالم الذي كان يراه من بعيد قد يكون

أكثر اتساعاً مما كان يتصور، وأن الإجابات التي يبحث عنها ربما تكون في هذا التنوع الفكري والثقافي الذي يحيط به.

كلما التقى بأشخاص من خلفيات مختلفة، كان يسأل نفسه: "هل نحن فعلاً محاطون بالحقائق فقط لأننا نشأنا في بيئة معينة؟ أم أن هناك طرقاً أخرى للفهم؟" كانت هذه الأسئلة تلاحقه في كل مكان، وكأنها تفتح أمامه أبواباً جديدة لم يكن يتخيلها من قبل. ومع كل إجابة كان يحصل عليها، كان يشعر أن هناك الكثير من الأسئلة الأخرى التي تنتظره.

لم يكن يعلم حينها أن رحلته في بريطانيا ستكون أكثر من مجرد رحلة أكاديمية، بل ستكون مغامرة فكرية وروحية ستقلب حياته بالكامل.

الوصول إلى لندن : دهشة البداية

هبطت الطائرة في مطار هيثرو، ومع أول خطوة خارج باب الطائرة، شعر عبدالله ببرودة الهواء تخترق جسده. لم يكن معتاداً على هذا الطقس، فقد قضى حياته بين حرارة الشمس ورمال الصحراء. أخذ نفساً عميقاً، يملأ رئتيه بهواء هذا العالم الجديد، فيما كان ينظر من حوله بدهشة، محاولاً استيعاب التغير المفاجئ في المشهد من بيئته المعتادة إلى هذا المكان الذي ينبض بالحركة والنظام.

عند عبوره منطقة الجوازات، لاحظ الابتسامات الرسمية للضباط، والخطوات السريعة للمسافرين، واللغات المختلفة التي تتداخل في الأجواء. بدا كل شيء دقيقاً ومنظماً، لا أحد يصرخ أو يدفع الآخر، ولا أحد يبدو مهتماً بشأنه أو يسأله إلى أين يذهب. كان هذا الشعور

غريباً عليه ؛ فقد نشأ في مجتمع يراقب فيه الجميع بعضهم البعض ، حيث كل شخص يعرف الآخر، لكن هنا... كان مجرد فرد آخر بين حشود العابرين.

عندما خرج من المطار، فوجئ بحجم التغيير. الطرق الواسعة، الحافلات ذات الطابقين، القطارات التي تمر بسرعة وكأنها تشق المدينة بخطوط متشابكة. كان كل شيء يبدو حديثاً ومتقدماً بطريقة لم يعهدها. نظر إلى السيارات التي تسير بعكس الاتجاه الذي اعتاد عليه في الخليج، وتابع بنظره الناس وهم يعبرون الشوارع وفق إشارات المرور الصارمة. كل شيء كان يسير بانضباط مذهش.

ركب السيارة التي كانت بانتظاره، والتي أرسلها السيد جورج، الرجل الذي سيستضيفه خلال الأشهر القادمة. جلس في المقعد الخلفي وهو يتابع المشهد من النافذة. مرت السيارة عبر شوارع لندن المضاءة بألوان اللافتات، والمباني العتيقة التي تروي تاريخاً طويلاً، مختلطة بمبانٍ زجاجية حديثة تعكس أضواء المدينة. كان المشهد وكأنه يدمج بين الماضي والحاضر في تناغم غريب.

في طريقه إلى منزل العائلة المضيئة، كان عقله يعج بالأفكار. هل هذا المكان سيكون بداية إجابات لأسئلته، أم أنه سيجد نفسه غارقاً في مزيد من الحيرة؟ هل كان رحيله عن بلده خطوة صحيحة أم مجرد هروب مؤقت؟ لم يكن يعلم أن هذه الرحلة لن تكون مجرد انتقال جغرافي، بل ستكون رحلة فكرية ستغير كل شيء في داخله.

بينما كانت السيارة تنتقل عبر شوارع لندن، كان عبدالله يراقب بعينه كل شيء حوله وكأنه يلتقط صوراً في ذهنه. كان يفكر في عالمه القديم، في قريته التي تركها وراءه، وفي اللحظات التي سبقت رحيله، عندما

كانت الأسئلة تؤرقه دون إجابات. وبينما كانت الأصوات المألوفة تتناغم في شوارع المدينة الجديدة، شعر وكأن كل شيء يحيط به هنا مختلف.

المباني الكبيرة، الناس الذين يتحركون بسرعة، والهواء البارد الذي يلامس وجهه، كلها كانت تبدو كما لو أنها جزء من حلم بعيد. لم يعد هناك ذلك الشعور الذي كان يراوده في قريته، شعور الناس المتشابه مع بعضهم البعض، والنظرات التي تتابعه في كل خطوة. هنا في لندن، كان يشعر وكأنه يختفي في وسط الجميع، دون أن يلاحظه أحد.

وفي تلك اللحظة، بدأ عبدالله يلاحظ شيئاً آخر. كان هناك شيء في الهواء، شعوراً غريب بدا يرافقه وهو ينظر إلى التفاصيل الصغيرة حوله. كان يحاول أن يميز بين ما هو حقيقي وما هو خيال، بين ما هو مريح وما هو غريب، وكأن كل شيء هنا يثير فيه نفس الأسئلة التي حملها معه من وطنه. هل هذا هو المكان الذي سيجد فيه حريته في التفكير؟ أم أنه سيكتشف أن الحقيقة ليست في المكان أو الزمان، بل في العقل الذي يبحث عن الإجابات؟

بينما كانت السيارة تقترب من منزل العائلة المضيئة، شعر عبدالله بشيء غير محدد في قلبه، شيء كان يشاق إلى الإجابة عنه. هل ستكون هذه البداية لحل أزماته الداخلية، أم أن الإجابات ستظل تتسلل بعيداً عنه، كما فعلت طيلة سنواته في قريته؟ كان يعلم أن هذه المدينة، وهذه الرحلة، ربما تكونان بداية جديدة... بداية في البحث عن نفسه، عن دينه، وعن حقيقة الحياة.

في بيت عائلة جورج

عندما توقفت السيارة أمام المنزل، تأمل عبدالله المبنى ذو الطراز الفيكتوري، بنوافذه الكبيرة وسقفه المائل. كان المنزل يبدو قديماً لكنه أنيق، وكأنه يحمل بين جدرانه قصصاً طويلة. لم يكن لديه أي فكرة عما ينتظره خلف هذا الباب، لكنه كان يدرك أن هذه الإقامة قد تكون مختلفة عن أي تجربة خاضها من قبل.

فتح الباب السيد جورج بنفسه، رجل في منتصف الخمسينات، ذو شعر رمادي خفيف وابتسامة ودودة، لكنها تحمل شيئاً غير مفهوم. بجانبه وقفت زوجته مارغريت، امرأة أنيقة بنظرة حادة ووجه يحمل ملامح ترحيب متحفظة.

"أهلاً وسهلاً، عبدالله!" قال جورج بصوت دافئ وهو يمد يده لمصافحته.

ابتسم عبدالله وهزّ رأسه باحترام وهو يصافحه، ثم نظر إلى مارغريت التي قالت بلطف: "نحن سعداء بوجودك معنا. أتمنى أن تشعر وكأنك في بيتك."

"شكراً لكم، أنا ممتن لاستضافتكم لي." قال عبدالله، محاولاً أن يخفي توتره الأولي.

قاده إلى غرفة المعيشة، حيث كان المكان مزيناً بذوق كلاسيكي، مع رفوف مليئة بالكتب، وصليب خشبي معلق على الحائط. جلس عبدالله على الأريكة بينما ناولته مارغريت كوباً من الشاي.

"إذن، عبدالله، كيف كانت رحلتك؟" سأله جورج وهو يجلس على المقعد المقابل.

"كانت طويلة بعض الشيء، لكنها تجربة جديدة تمامًا بالنسبة لي." قال عبدالله وهو يأخذ رشفة من الشاي، محاولاً استيعاب الأجواء من حوله.

"أعتقد أن لندن مختلفة كثيراً عن بلدك، أليس كذلك؟" سألت مارغريت بابتسامة خفيفة.

هزّ عبدالله رأسه موافقاً. "نعم، مختلفة تمامًا. كل شيء هنا يبدو أسرع وأكثر تنظيمًا... وأيضاً الجو بارد جداً مقارنة بما اعتدت عليه!" ضحك جورج وقال: "ستعود عليه! أما بالنسبة لاختلاف الثقافة، فسنكون سعداء بمساعدتك على التأقلم." ثم أضاف بنبرة أكثر جدية: "وأيضاً، إذا كنت مهتماً، يمكننا أن نشاركك بعض الأمور عن إيماننا." شعر عبدالله أن الحديث بدأ يأخذ منحى أكثر جدية. لم يكن يتوقع أن يكون الدين موضوعاً يُطرح من اللحظة الأولى. لم يكن متأكداً كيف يجب، لكنه قرر أن يبقى دبلوماسياً.

"بالطبع، أنا مهتم بمعرفة الثقافات المختلفة، وهذا يشمل الأديان أيضاً." قال بابتسامة هادئة.

تبادلت مارغريت وجورج نظرة سريعة قبل أن يقول جورج: "رائع! نحن نؤمن أن الإيمان هو أهم شيء في الحياة، وأن الحقيقة هي ما يجب أن يسعى إليها كل إنسان."

في تلك اللحظة، أدرك عبدالله أن إقامته في هذا المنزل لن تكون مجرد تجربة دراسية، بل رحلة استكشاف فكري قد تهز قناعاته بطرق لم يكن يتخيلها.

بينما جلس عبدالله يستمع إلى حديث جورج ومارغريت، كان عقله يسبح في بحر من الأفكار. الكلمات التي كان يسمعها عن الإيمان

والبحث عن الحقيقة كانت تثير في نفسه تساؤلات أكثر مما كانت تقدم له إجابات. في بلده، كان الدين جزءاً من الهوية والثقافة، لم يكن مجال للشك فيه. أما هنا، في هذا المنزل، بدا الأمر مختلفاً. كان الدين يتحدث عن حرية البحث والتساؤل، كان يراهما يعيشان إيماناً لا يفرضه التقليد بل يسعى لتحقيقه من خلال فهم شخصي.

"هل يمكن أن يكون الإيمان شيئاً مختلفاً؟" تسأل عبدالله في نفسه. "هل يمكن أن أكون مؤمناً بطريقة جديدة، بلا القيود التي فرضها المجتمع علي؟"

مارغريت أضافت ببطء، وكأنما كانت تلاحظ تردد عبدالله: "نحن نؤمن أن لكل شخص رحلة خاصة نحو الحقيقة، وأن هذا البحث ليس دائماً بسيطاً. قد تأخذنا الطرق في اتجاهات غير متوقعة، وقد نواجه شكوكاً، لكن هذا جزء من العملية."

هز عبدالله رأسه وهو يحاول أن يستوعب كلماتها. كان يشعر بأنه أمام بداية جديدة. شعور من نوع غريب، ربما كان يشعر ببداية انفتاح عينيه على أفكار لم يكن يتخيلها من قبل. كان يعلم أن هذه الرحلة إلى لندن قد تكون بداية لفهم أعمق لنفسه وللدين، ولكن أيضاً بداية لاكتشاف حقيقته الخاصة في عالم مليء بالتساؤلات والتحديات.

تبادل الجميع حديثاً لطيفاً حول الثقافة والاختلافات بين الشرق والغرب، لكن حديث مارغريت وجورج حول الإيمان ترك في قلب عبدالله شعوراً عميقاً. كان يريد أن يستكشف أكثر، أن يجيب على الأسئلة التي كانت تؤرقه لسنوات. هل يمكن أن تكون الحقيقة متعددة الوجوه؟ هل يمكن أن يتخلى عن إجابات جاهزة ويبحث عن إجاباته الخاصة؟

بينما كانت الأمسية تمضي، بدأ عبدالله يشعر بشيء مختلف. كانت لحظة جديدة في حياته، لحظة فهم أن الإجابات لا تأتي دائماً من التسليم بما هو موجود، بل من البحث المستمر، وطرح الأسئلة التي قد تغير كل شيء في داخله.

في تلك اللحظات الأولى من وجوده في لندن، شعر عبدالله كما لو أنه قد عبر إلى عالم آخر. عالم ليس فيه حدود للإيمان، ولا إجابات جاهزة، فقط بحر من التساؤلات والتحديات. كانت رحلة إلى الخارج ليست فقط للبحث عن المعرفة الأكاديمية، بل عن إجابات لأعمق أسئلته التي طالما أرقّت ذهنه. هنا، في هذا المكان الغريب، أدرك أن كل ما كان يعرفه عن الدين والمجتمع قد لا يكون الصورة الكاملة، وأن رحلة البحث عن الحقيقة قد تأخذ شكلاً مختلفاً تماماً عما اعتاد عليه.

وفي خضم التغير والدهشة، كانت كلمة واحدة تهمس في عقله: هل يمكن أن أجد نفسي هنا؟ في هذا العالم الجديد، حيث الحقيقة ليست ثابتة، بل تتكشف ببطء، خطوة تلو الأخرى.

في تلك اللحظات الأولى من وجوده في لندن، شعر عبدالله كما لو أنه قد عبر إلى عالم آخر. عالم ليس فيه حدود للإيمان، ولا إجابات جاهزة، فقط بحر من التساؤلات والتحديات. كانت رحلة إلى الخارج ليست فقط للبحث عن المعرفة الأكاديمية، بل عن إجابات لأعمق أسئلته التي طالما أرقّت ذهنه. هنا، في هذا المكان الغريب، أدرك أن كل ما كان يعرفه عن الدين والمجتمع قد لا يكون الصورة الكاملة، وأن رحلة البحث عن الحقيقة قد تأخذ شكلاً مختلفاً تماماً عما اعتاد عليه.

وبينما كان يسير في الشوارع المزدحمة، وسط الوجوه الغريبة واللغات المختلفة، بدأ يحس بشيء لم يشعر به من قبل: ربما يكون

أخيراً في الطريق الصحيح لاكتشاف نفسه. لم يكن هذا المكان مجرد مدينة غريبة بعيدة، بل كان مرآة تعكس داخله، تكشف له عن أسئلة لم يكن يجرؤ على طرحها في بلاده، وعن احتمالات لم يكن يتخيل وجودها.

دون تفكير، أخرج هاتفه واتصل بأمه. لم يكن هناك سبب واضح، فقط رغبة مفاجئة في سماع صوتها. جاء صوتها دافئاً كعادته، يحمل في طياته حنين الوطن وراحة الأمان.

"كيف حالك، بني؟ كيف هي دراستك؟"
تردد قليلاً، ثم أجاب بصوت خافت: "أنا بخير، أمي... أشعر أنني بدأت أفهم أشياء كثيرة لم أكن أفكر فيها من قبل."
ابتسمت الأم، رغم أنها لم تفهم تمامًا ما يقصده، لكنها شعرت بشيء مختلف في نبرة صوته. ربما كان ذلك الشعور الغريب الذي شعر به عبدالله نفسه... شعور بأن رحلته الحقيقية قد بدأت للتو.

مرت ستة أشهر على وجود عبدالله في لندن، وكانت تلك الأشهر محملة بالتحويلات العميقة في فكره وحياته. أحياناً كان يشعر وكأنّ الزمن يسير بسرعة أكبر من قدرته على استيعاب التغيرات التي تطرأ عليه. كانت المدينة، بكل ما فيها من تفاصيل، تؤثر في نفسه بطريقة لم يتوقعها.

مع كل يوم جديد، كانت الأسئلة تتزايد. الأسئلة التي طالما خشيت نفسه من طرحها في بلاده، والآن أصبحت واضحة أمامه، تتراكم في عقله، تنتظر الإجابة. كان يشعر وكأنّ حياته السابقة كانت مجرد فصول خالية من المعنى، وأن هذه اللحظات التي يعيشها في لندن هي الفصل

الأول من رحلة طويلة نحو فهم ذاته وفهم هذا العالم الكبير الذي كان يجهره.

في تلك الفترة، شعر عبدالله بأنه على وشك الوصول إلى نقطة مفصلية، كأن هناك شعوراً خفياً يخبره بأن ما يجري حوله ليس مجرد مصادفة. في زحمة المدينة وضوضائها، كانت لندن بمثابة مرآة له، تعكس له داخله، وتكشف عن أشياء لم يكن يتخيلها. كما لو أن حياته السابقة كانت خريطة مشوشة، والآن أصبح لديه مفتاح لقراءتها.

في إحدى الليالي الهادئة، بعد يوم طويل من الدروس والقراءات، كان عبدالله يقف أمام نافذته، ينظر إلى الشوارع المضيئة والناس المارين بسرعة، بينما كانت أفكاره تتدافع بشكل متسارع. كان هناك شيء عميق داخل قلبه يشعر به، كما لو أنه وصل إلى مرحلة فاصلة في حياته.

فجأة، قرر أن يتصل بأمه. كانت تلك اللحظات التي يحتاج فيها إلى أن يسمع صوتها، إلى أن يشعر بنبض الحياة كما كان يعيشه في بلاده. كان يتمنى أن يشاركها ما يشعر به، لكن الكلمات كانت تعجز عن التعبير عن هذا التغيير الكبير.

حين ردت أمه على الهاتف، جاء صوتها دافئاً، محملاً بالحنان والطمأنينة التي لطالما كانت تجد طريقها إليه في أوقات الأزمات.

"كيف حالك، بني؟ كيف هي دراستك؟"

تردد عبدالله للحظة، ثم قال بصوت هادئ: "أنا بخير، أمي... أشعر أنني بدأت أفهم أشياء كثيرة لم أكن أفكر فيها من قبل."

سكتت الأم لحظة، ربما كانت تحاول فهم ما يقصده، لكن كانت تعرف، بحسها الأمومي، أن هناك شيئاً مختلفاً في نبرة صوته، شيء

يشير إلى أن هذا الشاب الذي عرفته ، الذي سافر بعيداً ليحصل على دراسته ، ليس هو نفسه الذي يسمعها الآن.

"أنت بخير ، صحيح؟ هل هناك شيء يزعجك؟"

ضحك عبدالله بخفة ، محاولاً أن يخفف عنها قلقها: "لا ، لا شيء. لكنني أشعر بشيء غريب ، أمي. كأني في مكان مختلف ، في وقت مختلف ، في مرحلة جديدة من حياتي."

مرت لحظات من الصمت ، ثم قالت الأم بصوت محب: "الله يوفقك يا بني. اطمئن ، إذا كنت تشعر أن هذه هي الطريق التي عليك أن تسلكها ، فلا تتردد. نحن دائماً هنا بجانبك."

أغلق عبدالله الهاتف وهو يشعر بشيء من الراحة. لكن في أعماقه ، كان يدرك أن قراره بمغادرة بلاده لم يكن مجرد رحلة دراسية ، بل كان اختياراً من القدر ليقوده إلى مفترق طرق في حياته.

مع مرور الوقت ، بدأ عبدالله يستشعر حقيقة أكبر وأعمق. بينما كان يطوف بين الكتب ، بين محاضراته ، وبين المناقشات مع أساتذته وزملائه ، كانت الحقائق تتشكل أمامه ، وكأنها قطع من أحجية كانت مبعثرة في ذهنه منذ زمن. بدأ يدرك أن الطريق الذي اختاره لم يكن مجرد سعي لتحقيق علم أكاديمي ، بل كان جزءاً من طريقه نحو اكتشاف ذاته ، نحو إعادة تشكيل معتقداته ، وإعادة تقييم ما تعلمه عن العالم.

كان عبدالله يشعر بأن ما يحدث حوله ليس مجرد صدفة. لقد أتى إلى هنا ليس فقط ليحصل على شهادة ، بل ليكشف عن أبعاد جديدة في الحياة لم يكن يدركها من قبل. كان هذا العالم الذي يراه الآن قد اتخذ شكلاً مختلفاً في عينيه. بدأ يدرك أن كل لحظة من هذه الرحلة كانت تساهم في بناء شخصيته ، وأن ما كان يعتقده سابقاً من حقائق عن الدين

والمجتمع ، ربما كان مجرد طبقة سطحية من الحقيقة ، وأن هناك أعماقاً أخرى لم يكتشفها بعد.

في تلك اللحظات ، شعر عبدالله بفرح داخلي غريب ، ليس فرحاً بالنجاح الأكاديمي أو الوصول إلى الإجابات التي يبحث عنها ، بل فرحاً لأنه بدأ يفهم كيف تتداخل الأفكار ، وكيف أن الطريق إلى الحقيقة ليس دائماً مستقيماً ، بل مليئاً بالتعرجات والدهاليز التي لا تنكشف إلا مع مرور الوقت.

وفي تلك اللحظات التي كان عبدالله يقف فيها متأملاً ، شعر بشيء عميق يلتف حوله كغيمة من الأفكار . كان السؤال الذي بدأ يدور في ذهنه لا ينفك : هل هذا هو الطريق الذي سيقوده إلى الإجابة التي يبحث عنها؟ هل اكتشافاته في هذا العالم الغريب ستكون مفيدة له في العودة إلى وطنه ، أم أنها ستقوده إلى مفترق طرق جديد لم يكن يتوقعه؟

مع مرور الأيام ، بدأ عبدالله يشعر بأن هناك شيئاً أكبر من مجرد الفهم العقلي ، كان هناك نوع من الارتباط الروحي الذي بدأ ينمو في داخله ، وكأن كل هذه الأسئلة لم تكن مجرد صراع داخلي فقط ، بل كانت دعوة لرحلة أكبر في أعماق نفسه . وبينما كان يدرس ويتعلم ، بدأ يفهم أن المعرفة لا تكمن فقط في الكتب أو المحاضرات ، بل في قدرة الإنسان على أن يترجم تلك المعرفة إلى حياة يومية.

وفي جلسة مع مايكل في مقهى صغير في لندن ، كانت الشمس تغرب خلف النوافذ الزجاجية ، وقال عبدالله له بتفكير عميق : "لقد بدأت أدرك شيئاً ، يا مايكل . الرحلة التي خضتها لم تكن مجرد دراسة أكاديمية . كانت بداية لرحلة داخلية ، وأنا الآن أحاول أن أفهم أين سأذهب بها . شعرت في كثير من الأحيان بأنني بعيد عن بلدي ، عن

جذوري، لكن في نفس الوقت شعرت بأنني أكثر قرباً من نفسي ومن الحقيقة."

ابتسم مايكل وهو ينظر إلى صديقه بفضول: "أعتقد أن هذا هو جوهر الحياة، يا عبدالله. أن نبحث عن أنفسنا في كل مكان نذهب إليه، وأن نعود دائماً إلى السؤال الأول: من نحن؟ وما هي أهدافنا الحقيقية؟" قال عبدالله وهو يبتسم بصدق: "صحيح. والآن، بعد كل هذه الأفكار التي تشكلت في داخلي، أصبح لدي إيمان جديد بما يمكن أن أقدمه في هذا العالم. أفكر في العودة إلى بلادي بعد التخرج، ليس فقط كطالب أكمل دراسته، بل كإنسان مختلف، وكشخص يحمل معه أفكاراً يمكن أن تساهم في تغييرات إيجابية. أتمنى أن أشارك هذه المعرفة مع الآخرين، لأساعد في فتح الأفق وتوسيع الفهم."

بينما كان عبدالله يتحدث، شعر بشيء يقترب منه، شعور عميق بالأمل والاطمئنان. كان يعرف أن الطريق ليس سهلاً، وأن التحديات ستظل موجودة. لكن الأمل كان يغذي قلبه، وكان يتمنى أن يحدث الفرق في بلاده بمجرد عودته. لأنه بدأ يدرك أن التغيير لا يبدأ فقط من الخارج، بل من الداخل، وأن الحقيقة ليست دائماً واضحة، بل تحتاج إلى الكثير من البحث والتمحيص.

"لقد بدأت أرى الضوء في نهاية النفق، مايكل. ربما لم أكن أراه من قبل، لكن الآن أعتقد أنني في الطريق الصحيح." قالها عبدالله بتصميم، وهو يشعر بصدق في كلامه.

ابتسم مايكل وقال: "أنت في الطريق الصحيح، عبدالله. ولكن تذكر، الرحلة الحقيقية لا تنتهي أبداً. وكلما كنت تقترب من الحقيقة،

كلما ازدادت الأسئلة. لكن لا تدع ذلك يحبطك، بل استخدمه كوقود للاستمرار."

ومع تلك الكلمات، شعر عبدالله بسلام داخلي لم يكن قد اختبره من قبل. صحيح أنه لا يزال على مشارف اكتشاف ذاته بالكامل، ولكن كان لديه الآن يقين بأنه لا يوجد طريق واحد صحيح، بل طرق متعددة يمكن أن تأخذنا جميعاً إلى نفس الحقيقة العميقة.

الفصل الثاني: صراع المعتقدات

لم يكن عبدالله في البداية مهتمًا بمعرفة تفاصيل الدين المسيحي، لكنه كان يراقب من بعيد اجتماعات العائلة مع القس في غرفة الجلوس كل مساء أحد. كانوا يجلسون في دائرة، يفتحون أناجيلهم، يتحدثون بحماس، يتلون آيات، ويرددون ترانيم بصوت خافت. بدا له المشهد مألوفًا بشكل غريب، وكأنه يذكره بحلقات الذكر في قريته، حيث كان الناس يجتمعون بعد الصلاة لقراءة القرآن والأحاديث، متأملين في كلام الله.

لكن هنا، كان هناك شيء مختلف. شيء لم يستطع عبدالله تحديده. في إحدى الأمسيات، بينما كان عائدًا إلى غرفته، لمح القس، رجل خمسيني ذو لحية بيضاء خفيفة وعيون زرقاء ثاقبة، ينظر إليه باهتمام. ابتسم القس وقال: "عبدالله، هل تود الانضمام إلينا؟ يمكنك الاستماع فقط، لا شيء أكثر."

تردد عبدالله للحظة. لم يكن يرغب في نقاش ديني مع مجموعة من المؤمنين المتحمسين، لكنه في نفس الوقت كان يشعر بفضول لا يستطيع تجاهله. كان دائمًا يؤمن بأن المعرفة لا تضر، بل على العكس، تساعد الإنسان على فهم العالم بشكل أعمق. "لم لا؟ سأستمع فقط." قال عبدالله بابتسامة خفيفة، ثم جلس على أحد المقاعد في طرف الغرفة.

بدأ القس يتحدث عن المحبة والخلاص، عن كيف أن الإيمان بالمسيح هو السبيل الوحيد للنجاة. استمع عبدالله بصمت، محاولاً استيعاب طريقة تفكيرهم. لم يكن حديث القس مجرد وعظ، بل كان يحمل بين كلماته نوعاً من الحجة المقنعة، وكأنه يحاول أن يقودهم جميعاً إلى نتيجة حتمية: أن كل إنسان يحتاج إلى المسيح ليجد الحقيقة. بعد انتهاء الاجتماع، اقترب جورج من عبدالله وربّت على كتفه قائلاً:

"أنت ذكي يا عبدالله، وأعتقد أنك ستجد الكثير من الإجابات هنا." ابتسم عبدالله وقال بهدوء: "أنا هنا لأفهم فقط، وليس لأبحث عن إجابات جاهزة."

رحلة البحث

في الأيام التالية، بدأ عبدالله يغوص في عالم جديد من الأفكار والنقاشات. لم يكن مهتماً فقط بما يقوله القس، بل قرر أن يقرأ الإنجيل بنفسه، لا ليؤمن به، ولكن ليفهم كيف يرى المسيحيون دينهم. ثم وجد نفسه يقرأ التوراة أيضاً، محاولاً تتبع الجذور الفكرية التي ربطت بين المسيحية واليهودية.

وبينما كان يتعمق أكثر، بدأ يلاحظ شيئاً غريباً: هذه الطائفة المسيحية التي يعيش معها تعتمد بشكل كبير على الفكر اليهودي. كانوا يرون في إسرائيل الأرض الموعودة، يتحدثون عن نبوءات العهد القديم وكأنها يقين مطلق، وكانوا يرددون أن اليهود هم "شعب الله المختار" حتى بعد مجيء المسيح.

أدرك عبدالله أن الفكر اليهودي لم يؤثر فقط على المسيحية، بل ربما كان له تأثير أيضاً على الإسلام. هذه الفكرة كانت صادمة بالنسبة له. كيف يمكن أن تكون الأديان الثلاثة متشابكة بهذا الشكل؟ هل هناك تأثير خفي لم يكن يدركه من قبل؟

بدأت الأسئلة تتراكم في ذهن عبدالله بسرعة، وكأنما لم يعد يستطيع إيقافها. كلما قرأ أكثر عن الجذور المشتركة بين الأديان، وكلما اكتشف التأثيرات المتبادلة بين اليهودية والمسيحية والإسلام، بدأ يرى العالم بشكل مختلف. كانت الفجوات التي كان يعتقد أنها تفصل بين هذه الأديان تتضاءل، واكتشف أن ما كان يراه سابقاً على أنه اختلافات عميقة قد تكون مجرد اختلافات تفسيرية.

ولكن في الوقت نفسه، كانت تساؤلاته تزداد عمقاً: كيف يمكن أن تكون هذه الأديان الثلاثة التي يدعي كل منها أنه الطريق الوحيد إلى الله، متشابكة بشكل معقد لهذا الحد؟ هل يمكن أن يكون هناك بعض الحق في كل منها؟ أم أن التفسير البشري قد شوّه هذه الحقيقة السماوية؟

في تلك اللحظات، أدرك عبدالله أنه ليس في صراع مع الآخرين فحسب، بل مع نفسه أيضاً. كان يبحث عن إجابات، لكن تلك الإجابات قد لا تكون كما يتخيل، بل قد تكون أكثر تعقيداً مما كان يستطيع فهمه. بدأ يشك في التفسير الأحادي الذي نشأ عليه في قريته، وبدأ يتساءل إن كانت الحقيقة أبعد وأعمق من تلك الصورة البسيطة التي رآها طوال حياته.

مواجهة الفكر

في إحدى الليالي، بينما كان يتصفح بعض المقاطع على الإنترنت، صادف فيديو لأحمد ديدات، الرجل الذي اشتهر بمناظراته القوية مع القساوسة. كان ديدات يشرح كيف أن الكثير من تعاليم المسيحية الحالية لم تكن جزءاً من رسالة المسيح الأصلية، بل جاءت من تأثير الفكر اليهودي والفلسفات القديمة.

جلس عبدالله في غرفته لساعات يشاهد المناظرات، يستمع لحجج الطرفين، ويقارن بينها وبين ما قرأه في الكتب. كل هذا جعله يشعر أنه كان يعيش طوال حياته داخل إطار محدد، والآن فقط بدأ يرى الصورة الأكبر.

في إحدى الجلسات القادمة مع القس، قرر عبدالله أن يطرح سؤالاً كان يشغله:

"إذا كان المسيح هو المخلص، فلماذا لم يؤمن به اليهود؟ ألم يكن هو نفسه يهودياً؟"

ساد الصمت للحظة، قبل أن يجيب القس بصوت هادئ لكنه حذر: "اليهود رفضوه لأنهم كانوا ينتظرون مخلصاً آخر، ملكاً أرضياً، وليس شخصاً يدعو للسلام والمحبة. لكن هذا كان جزءاً من خطة الله." هزّ عبدالله رأسه وقال: "ولكن إذا كان الله يعلم أنهم سيرفضونه، فلماذا لم يجعل الأمر أكثر وضوحاً؟ لماذا لم يقبلوه لو كان هو المنتظر حقاً؟"

نظر جورج إليه بتركيز، ثم قال: "أعتقد أنك تفكر كثيراً يا عبدالله. أحياناً، علينا أن نؤمن دون أن نطرح الكثير من الأسئلة."

ضحك عبدالله قليلاً وقال: "لقد سمعت هذا من قبل". كانت هذه الجملة كفيلة بأن تجعل كل من في الغرفة ينظر إليه باستغراب. لم يوضح لهم قصده، لكنه كان يفكر في شيء واحد: في قريته، عندما كان يطرح أسئلة عن الإسلام، كان يُقال له الشيء نفسه، "لا تفكر كثيراً". والآن، في الجانب الآخر من العالم، مع دين مختلف، سمع نفس الرد.

هنا، أدرك أن المشكلة لم تكن في دين معين، بل في طريقة التفكير. كانت الأديان جميعها تحمل في داخلها الحقيقة والخرافة معاً، لكن الناس اختاروا أن يتمسكوا بالخرافة، لأنها أسهل وأكثر راحة. بدأت رحلة عبدالله الحقيقية الآن، ولم يكن يعلم إلى أين ستقوده. بينما كانت الأسئلة تتراكم في ذهنه، بدأ عبدالله يدرك شيئاً عميقاً: إن رحلته لم تكن مجرد بحث عن حقيقة دينية، بل عن طريقة تفكير وفهم أعمق للحياة والوجود. كان يشعر وكأن كل خطوة يخطوها تقوده إلى دهاليز جديدة من الفهم والتساؤل. وكلما تواصل مع أفكار ومعتقدات جديدة، بدأ يتساءل: هل من الممكن أن يكون التفسير البشري للأديان قد أفرغ هذه الأديان من جوهرها الأصلي؟ وهل أن الحقيقة الحقيقية تكمن فيما وراء الكلمات والمعتقدات التقليدية؟

في كل محادثة كان يجريها، سواء مع القس أو مع أصدقائه في لندن، كان عبدالله يشعر بأنه يقترب أكثر فأكثر من نقطة التحول الكبرى في حياته. كانت الأسئلة التي يطرحها تتضاعف بشكل يومي، وكان يبحث عن الإجابات في كل زاوية وكل فكرة يعثر عليها. لكن في الوقت ذاته، كان يشعر بشيء آخر، شيء كان يختبئ وراء كل سؤال: شعور

عميق بالضياح. وكأنما لا شيء يمكن أن يملأ الفراغ الذي بدأ يشعر به في قلبه.

لكن مع مرور الأيام، أصبح عبدالله يدرك أن الطريق الذي يسلكه ليس مجرد بحث عن إجابة واحدة. بل كان بحثاً عن طريقة جديدة لرؤية العالم، وبحثاً عن طرق جديدة لفهم نفسه. وبذلك، بدأت رحلة عبدالله الحقيقية، رحلة تقترب من الحقيقة، لكنها أيضاً مليئة بالتحديات والضغوط التي قد تجبره على إعادة التفكير في كل شيء كان يؤمن به.

ومع مرور الأيام، أصبح عبدالله في مواجهة حقيقة مع ذاته. كل فكرة جديدة يكتشفها، وكل سؤال يطرحه، كان يزيد من اتساع الأفق أمامه، لكنه في الوقت ذاته كان يعمق شعوره بالحيرة. لم يكن يعلم بعد ما هي الإجابة التي يبحث عنها، ولكن شيئاً واحداً كان واضحاً: تلك الأسئلة التي كانت تخيفه في البداية أصبحت هي المحرك الذي يدفعه للاستمرار في البحث. كان يزداد قناعة أن الوصول إلى الحقيقة ليس مسألة سهلة، وأن الطريق إلى الفهم العميق يتطلب الكثير من التحديات.

بينما كانت الأسئلة تتراكم في قلبه وعقله، أصبح عبدالله على يقين من شيء واحد: أنه لا يمكن العودة إلى حيث بدأ. لقد فتح أبواباً جديدة في ذهنه، وأصبح كل شيء ممكناً.

لم يكن عبدالله قد عاد إلى قطر بعد، لكنه كان يفكر بجدية فيما سيفعله عند انتهاء دراسته. لم تعد رحلته مجرد مرحلة أكاديمية، بل كانت تجربة غيرت نظرتة للعالم وللأفكار التي نشأ عليها. رأى كيف يتم تشكيل المعتقدات وإعادة توجيهها، وكيف يُقاد الناس دون وعي لخدمة مخططات أكبر مما يتصورون.

الأسئلة التي كانت تؤرقه لم تعد تقتصر على ذاته، بل امتدت إلى مجتمعه وأمته. كيف يمكنه نقل هذه المعرفة إلى الآخرين؟ كيف يمكنه إثارة وعي من حوله دون أن يواجه بالفرض أو الاتهام بالتطرف أو الترويج لنظريات المؤامرة؟

كان يعلم أن المواجهة المباشرة قد لا تكون مجدية، وأن إيصال الحقيقة يتطلب أسلوباً أكثر عمقاً وتأثيراً. بدأ يفكر في الطرق التي يمكن أن يستخدمها، هل ينخرط في المجال الأكاديمي ويكتب أبحاثاً تحليلية؟ هل يؤسس منصة للحوار الفكري؟ أم يعمل على مشروع بحثي أكثر تنظيماً؟

ومن هنا، بدأت فكرة إنشاء مركز دراسات متخصص في الفكر الصهيوني تتبلور في ذهنه. لم يكن الهدف مجرد كشف المخططات، بل تقديم دراسة علمية عميقة لكيفية اختراق الفكر الغربي، والتأثير على السياسات العالمية، وإعادة تشكيل الهوية الدينية والثقافية لشعوب بأكملها. أراد أن يكون للمركز دور في تحليل هذه الظواهر بموضوعية، بعيداً عن العواطف والانفعالات، ليضع أمام الناس الصورة الكاملة التي لم يدركوها من قبل.

كان يدرك أن الطريق لن يكون سهلاً، وأن العقبات ستكون كثيرة، لكنه كان مقتنعاً بأن ما توصل إليه لا يمكن أن يظل حبيس أفكاره، بل يجب أن يصبح مشروعاً حقيقياً يسهم في توعية الأمة، ويضع أمامها رؤية واضحة لما يحدث من حولها.

في إحدى الأمسيات الهادئة، جلس عبدالله مع مايكل في المقهى المعتاد بالقرب من الجامعة. كان المقهى مزدحماً كعادته، لكنهما اختارا زاوية هادئة تطل على الشارع، حيث كان الناس يمضون في حياتهم

اليومية دون أن يدركوا أن جلستهم هذه قد تكون نقطة تحول في رحلة
عبدالله.



عبد الله برفقة سامي ومايكل في مقهى دافئ يتبادلون أطراف الحديث

رفع مايكل كوب قهوته ونظر إلى عبدالله، الذي كان شاردًا بعض الشيء، ثم قال مبتسمًا:
"يبدو أنك تفكر بعمق الليلة، عبدالله. هل اكتشفت سر الحياة
أخيرًا؟"

ضحك عبدالله وهز رأسه، ثم قال:
"ليس بعد، لكنني أظن أنني اقتربت. كنت أفكر في كل ما مررت به
هنا، في هذه الرحلة. لم يكن الأمر مجرد دراسة، لقد كان اكتشافاً
لحقيقة لم أكن أراها من قبل."

رفع مايكل حاجبه باهتمام: "حقيقة؟ أي نوع من الحقائق؟"
تنهد عبدالله وهو يضع كوب الشاي أمامه، ثم قال:
"أدركت كيف يتم تشكيل الأفكار، وكيف يمكن توجيه الناس دون
أن يدركوا ذلك. لطالما كنت أرى الصراع في الشرق الأوسط من زاوية
ضيقة، من منظور ديني بحت، لكنني الآن أرى الصورة الأكبر. هناك
تحكم خفي، سياسات تُصنع في أماكن لا نراها، وأفكار تُزرع في
العقول حتى تصبح مسلمات."

أوماً مايكل برأسه، ثم قال وهو يقلب ملعقته في كوبه:
"تقصد التأثير الصهيوني؟"
نظر إليه عبدالله بدهشة: "كيف عرفت؟"
ضحك مايكل: "لقد كنت صديقي لسنوات، أستطيع أن أخمن أين
يقودك تفكيرك. لكنني مهتم بسماع المزيد."
ابتسم عبدالله وأكمل بحماس:

"لقد وجدت أن الصهيونية لم تكتفِ بالتأثير على السياسة فقط، بل
تغلغلت في الفكر الديني للمسيحيين في الغرب. تم إقناعهم بأن دعم
إسرائيل ليس مجرد سياسة، بل واجب ديني، وأن اليهود لم يكونوا
مسؤولين عن صلب المسيح، بل هم شعب مختار بوعد إلهي، وهكذا
تم تهويد المسيحية دون أن يدرك المسيحيون ذلك."

صمت مايكل للحظة، ثم قال وهو يحدق في عبدالله:

"هذا مشير للاهتمام... لكن، ماذا تنوي أن تفعل بهذه المعرفة؟"
ابتسم عبدالله، وأحس بحرارة الحماس تتدفق في صدره، وقال:
"سأعود إلى بلدي وأؤسس مركز دراسات متخصص في هذا
الموضوع. أريد أن أوثق هذه الحقائق، أن أجمع الباحثين المهتمين، أن
أفتح عيون الناس على ما يحدث بالفعل. لا أريد أن أكون مجرد شخص
يحمل أفكارًا، أريد أن أكون شخصًا يغير الواقع."
ابتسم مايكل وهو يرفع كوبه في تحية ودية:
"حسنًا، يا صديقي، أظن أن رحلتك لم تنتهِ بعد. بل ربما بدأت
للتو."

ضحك عبدالله، وشعر لأول مرة منذ وقت طويل أن كل شيء بدأ
يأخذ مكانه الصحيح.

لكن مع بداية الفصل التالي من رحلته، كان عبدالله يقف على
مفترق طرق. بينما بدأ يكتشف أكثر عن الأديان الأخرى، بدأ يفكر في
الإسلام بطريقة لم يفكر بها من قبل. هل يمكن أن يكون ما تعلمه طوال
حياته عن دينه مجرد جزء من الصورة الأكبر التي كان يتجاهلها؟ كان
يواجه أسئلة أكثر إلحاحًا: هل يستطيع أن يحقق التوازن بين ما تعلمه من
تقاليد و ما اكتشفه من أفكار جديدة؟ وهل ستكون الإجابة التي يبحث
عنها في هذه الرحلة هي نفس الجواب الذي قد يغير كل شيء في قلبه
وعقله؟

الفصل الثالث: صداقات جديدة واكتشافات مفاجئة

لم تكن حياة عبدالله في بريطانيا مجرد نقاشات دينية وتأملات فكرية، بل كانت أيضاً تجربة يومية مختلفة تماماً عما اعتاد عليه. كانت الجامعة عالماً آخر، مليئاً بأشخاص من خلفيات متنوعة، كل واحد منهم يحمل معه ثقافته وطريقته في التفكير.

منذ وصوله، كان يتوقع أن يواجه مجتمعاً غربياً متحرراً بشكل مفرط، كما كان يُقال له في قريته، حيث كان يُنظر إلى الأجانب على أنهم منحرفون أخلاقياً، بعيدون عن القيم، ولا يهتمون إلا باللذات. لكنه سرعان ما أدرك أن هذه الصورة لم تكن دقيقة. على العكس، وجد في زملائه احتراماً متبادلاً، وتقبلاً للأفكار المختلفة، بل وحتى اهتماماً حقيقياً بفهم معتقداته دون تعصب.

في أحد الأيام، بعد نقاش طويل مع أمينة وآدم، قرر عبدالله أن يزور الكنيسة القريبة من الجامعة. كان لديه فضول لمعرفة كيف يرى المسيحيون دينهم ويعيشون معتقداتهم. في تلك الزيارة، تأثر عبدالله بروحانية المكان، وبطريقة الصلاة التي يتبعها المسيحيون، وكيف يعبرون عن إيمانهم. كان هذا اكتشافاً مفاجئاً له، إذ بدأ يرى المسيحية ليس فقط كدين مختلف، بل كجزء من تجربة روحية أوسع. بدأ يفكر بعمق في كيف أن كل دين يمكن أن يقدم رؤية فريدة للروحانية، وكيف يمكن لكل طريق أن يؤدي إلى نفس الغاية في النهاية.

لقاء غير متوقع

في إحدى المحاضرات، جلس عبدالله بجوار شاب إنجليزي يدعى "مايكل"، شاب ذو شعر بني غير مرتب وعينين زرقاوين، يضع سماعات في أذنيه حتى قبل بدء المحاضرة. لاحظ عبدالله أنه كان يتابع محاضراته بجدية، لكنه في الوقت نفسه كان يتمتع بروح مرحة تجعله يمازح الجميع.

"أنت جديد هنا، أليس كذلك؟" سأل مايكل وهو يخلع إحدى سماعاته.

"نعم، وصلت قبل أسابيع فقط." أجاب عبدالله بابتسامة خفيفة.

"من أين أنت؟"

"من الخليج."

رفع مايكل حاجبيه باهتمام: "آه، لم أزر هذه المنطقة من قبل،

لكنها تبدو مثيرة. هل صحيح أنكم تعيشون في صحراء فقط؟"

ضحك عبدالله وقال: "ليس تمامًا، لدينا مدن حديثة وأبراج أعلى

من تلك التي لديكم هنا."

"حقًا؟! إذا الإعلام يكذب علينا كما هو الحال دائمًا." قال مايكل

مازحًا، ثم أضاف: "هل لديك وقت بعد المحاضرة؟ سأذهب مع بعض

الأصدقاء إلى المقهى، يمكنك الانضمام إلينا إن أردت."

تردد عبدالله قليلًا. لم يكن معتادًا على هذا النوع من الدعوات

العفوية، لكنه قرر أن يجرب.

صورة مختلفة عن الغرب

في المقهى، التقى عبدالله بعدد من الطلاب من جنسيات مختلفة، بينهم "إيما"، فتاة إنجليزية تعيش معه في منزل العائلة المستضيفة. كانت شابة نشيطة تحب المغامرات، وعرف لاحقاً أنها تمارس ركوب الخيل منذ الطفولة.

"هل جربت ركوب الخيل من قبل؟" سألتها إيما بينما كانت تضع كوب القهوة أمامها.

"ليس كثيراً، لكنه جزء من ثقافتنا."

"جميل! يجب أن أجعلك تجرب ركوب الخيل هنا. الأمر مختلف تماماً."

شعر عبدالله بالدهشة من أسلوبها البسيط في الحديث. لم تكن تحاول فرض أي فكرة عليه، ولم تكن تعامل ثقافته كشيء غريب أو غامض. على العكس، كانت متحمسة للتعرف عليها، كما كان هو متحمساً لفهم ثقافتها.

خلال الأسابيع التالية، أصبح لديه دائرة من الأصدقاء الذين لم يكن يتوقع أن يكون بينهم هذا القدر من التفاهم. لم يكن هناك أحكام مسبقة، ولا حواجز تمنعه من الحديث بحرية عن أفكاره.

بدأت نظراته تتغير، ليس فقط تجاه الغرب، بل تجاه نفسه أيضاً. كان يدرك الآن أن الحقيقة ليست محصورة في مجتمع واحد أو ثقافة واحدة، بل هي أوسع من ذلك بكثير.

ومع ذلك، لم يكن يعلم أن هذه الصداقات الجديدة ستقوده إلى اكتشافات أكبر، وأسئلة أعمق لم يكن مستعداً لمواجهتها بعد.

مع مرور الوقت، بدأت الصداقات التي كوَّنها عبدالله تعكس له جوانب جديدة من الحياة التي لم يكن يتصورها. كان يتحدث مع مايكل وإيما عن كل شيء، من الموسيقى إلى السفر، وكان يشعر كما لو أنه يكتشف العالم من زاوية مختلفة. لكن، في وسط هذه الاكتشافات، بدأ عبدالله يتساءل عن نفسه أكثر من أي وقت مضى.

أثناء إحدى الجلسات مع مايكل، الذي كان دائماً ما يحثه على أن يتجاوز أفكاره المحدودة، قال له: "لماذا تعتقد أن الناس يختلفون؟ هل فعلاً كل واحد منا يملك "الحقيقة" فقط لأنه وُلد في مكان معين؟". هذا السؤال كان بمثابة صدمة لعبدالله، إذ بدأ يدرك أن الحياة التي كان يعيشها قد فرضت عليه العديد من القيود الفكرية دون أن يلاحظ.

توالى الأيام، وبدأ عبدالله يشعر بحيرة أكبر. هل كان الطريق الذي بدأ يسلكه في بريطانيا هو الطريق الصحيح؟ وهل كانت هذه الصداقات الجديدة تفتح له أبواباً جديدة أم أنها تزيد من تعقيد أسئلته؟

أثناء إحدى الجلسات مع مايكل، الذي كان دائماً يدفعه لتجاوز حدوده الفكرية، نظر إليه بجديّة وسأله:

"لماذا تعتقد أن الناس يختلفون في إيمانهم؟ هل تعتقد حقاً أن شخصاً يملك "الحقيقة المطلقة" فقط لأنه وُلد في بيئة معينة؟"

شعر عبدالله وكأن السؤال أصابه في الصميم. لم يفكر بهذه الطريقة من قبل. هل كانت قناعاته مجرد نتيجة للبيئة التي نشأ فيها؟ وهل من الممكن أن يكون ما يعتبره "حقاً مطلقاً" ليس سوى منظور ثقافي فرض عليه منذ طفولته؟

بعد لحظة صمت، تابع مايكل بنبرة فضولية:

"أخبرني، ما هو الإسلام حقاً؟"

تنهد عبدالله، محاولاً تنظيم أفكاره، ثم قال:

"هناك فرق بين الإسلام في جوهره، كما جاء في القرآن، وبين الإسلام التقليدي الذي يمارسه كثير من الناس بناءً على العادات والتقاليد. تماماً كما هو الحال في المسيحية، هناك المسيحية الكنسية التي تديرها المؤسسات، وهناك رسالة المسيح في جوهرها، والتي لا تختلف كثيراً عن الرسائل السماوية الأخرى."

نظر إليه مايكل بتمعن وقال: "وما هو جوهر الإسلام إذن؟"

ابتسم عبدالله وهو يحاول تلخيص فكرته:

"الإسلام في جوهره هو الاستسلام لله بإرادة حرة، والبحث عن الحق والعدل، والعيش في سلام مع النفس والآخرين. القرآن يركز على التوحيد، الرحمة، والعدالة، ويحث الإنسان على استخدام العقل والتفكير. لكن مع مرور الزمن، أضيفت إليه تفسيرات واجتهادات بشرية، بعضها كان مناسباً لزمانه، وبعضها أصبح قيداً فكرياً."

سكت قليلاً ثم أضاف:

"بعبارة أخرى، الإسلام الحقيقي ليس مجرد طقوس أو قوانين، بل هو علاقة مباشرة بين الإنسان والله، قائمة على الإيمان، الأخلاق، والتأمل في الكون. وهذا يتشابه مع رسالة المسيح الأصلية، التي تدعو إلى المحبة والرحمة، وليس فقط تعاليم الكنيسة المنظمة."

رفع مايكل حاجبيه وقال مبتسماً: "لم أسمع أحداً يشرح الإسلام بهذه الطريقة من قبل. مثير للاهتمام!"

مع مرور الأسابيع، أصبح عبدالله يرى نفسه محاطاً بعالم جديد تماماً، عالم لا يتوقف عند الحدود التقليدية التي نشأ عليها. كان يشعر بأن كل محادثة مع أصدقائه الجدد تكشف له جانباً مختلفاً من الحقيقة،

وكان كل سؤال يطرحه يزيد من غموض الرحلة التي بدأها. لم تعد الأمور بسيطة كما كانت في الماضي ؛ فكلما استكشف الجديد، كانت الأسئلة تتراكم، والمفاهيم تتداخل، لكن الأهم من ذلك كان شعوره العميق أنه قد بدأ يرى الأشياء من زوايا مختلفة.

كانت لندن، هذه المدينة التي تحتضن ثقافات وعقائد متعددة، تمثل بالنسبة له نقطة انطلاق نحو رحلة فكرية جديدة. ومع كل خطوة كان يخطوها، كان يكشف شيئاً جديداً في نفسه وفي العالم من حوله. لكنه أيضاً كان يشعر بالضيق، كما لو أن كل إجابة جديدة تفتح أمامه أبواباً أكثر تعقيداً.

الفصل الرابع: الحصان الجامح

بداية المغامرة

في صباح بارد ومشرق، دعت إيما عبدالله لمغامرة جديدة. كانت تعرف شغفه بالتجارب المختلفة، ولذلك قررت أن تعلمه ركوب الخيل.

"عبدالله، ماذا عن تجربة حقيقية اليوم؟" قالت وهي تبسم بثقة.
"تجربة؟ أي نوع من التجارب؟" سأل مستفسراً.
"ركوب الخيل! لديك خلفية عربية، أليس كذلك؟ من المفترض أن يكون هذا جزءاً من جيناتك." قالت مازحة وهي تربت على رقبة حصانها.

ضحك عبدالله رغم شعوره بالتوتر. لم يشأ أن يحبط توقعاتها، فوافق دون أن يخبرها بأنه لم يركب حصاناً من قبل إلا مرة واحدة عندما كان طفلاً، وكانت تجربة مرعبة لم يرغب في تكرارها.
وصلوا إلى الإسطبل حيث كانت الخيول تقف بانتظام، مغطاة بالبطانيات، عيونها تتأمل المكان وكأنها تنتظر الزوار الجدد. نظرت إيما إلى عبدالله وقالت بابتسامة: "لا تقلق، سأساعدك في كل خطوة. الأمر ليس صعباً، فقط ثق بالحيوان وكن هادئاً."

وقف عبدالله أمام الحصان الذي اختارته إيما له، كان حصاناً بنياً ضخماً ذو عيون حادة وكأنها تدرس كل حركة من حركاته. شعر عبد الله بقلبه يرفرف في صدره، لكنه حاول أن يبدو هادئاً بينما كانت إيما تساعد على الصعود.

"إذا أردت أن تشعر بالأمان، عليك أن تدع الحصان يشعر بك. لا تحاول أن تسيطر عليه بالقوة، بل بالفهم." قالت إيما وهي تقدم له بعض النصائح.

بينما بدأ الحصان يتحرك بخفة في البداية، شعر عبدالله بقلق يزداد داخل صدره، وأراد أن يصرخ للحصان ليتوقف، لكنه تذكر نصيحة إيما وقرر أن يبقى هادئاً. ومع كل خطوة كانت الأرض تهتز تحت قدميه، أصبح يعتقد أن الركوب قد يكون أكثر صعوبة مما تخيله.

لكن شيئاً غريباً بدأ يحدث. مع مرور الوقت، بدأ عبدالله يشعر بنوع من الاتصال الغريب مع الحصان. بدأ يتحرك معه بتناغم، وكأن هناك لغة غير مرئية تجمعهما. كان يتنفس بعمق، يدع الحصان يقوده، ويشعر بقبضة السيطرة التي كانت تنبع من أعماقه.

في تلك اللحظة، شعر بشيء داخلي يتحطم، تماماً كما لو أن هناك قيداً قد انكسر في عقله.

في تلك اللحظة، شعر عبدالله بشيء داخلي يتحطم، تماماً كما لو أن هناك قيداً قد انكسر في عقله. الحصان، الذي كان في البداية مصدرراً للرهبة، أصبح الآن جزءاً منه، وبدلاً من أن يقاومه، بدأ ينسجم مع حركته، يشعر بقدرته على التوجيه والسيطرة دون الحاجة إلى العنف أو التسلط. كانت هناك لحظة من الهدوء العميق بينه وبين الحصان، كأنهما في تناغم تام.

لكن هذا الشعور لم يستمر طويلاً. فجأة، بدا الحصان يتغير. بدأ يسرع في خطواته بشكل غير متوقع، وكأنما شعر بقوة جديدة. عبدالله حاول أن يظل هادئاً، لكن قلبه بدأ ينبض بسرعة. تذكر نصيحة إيما، فحاول أن يحافظ على توازنه ويركز على نفسه. ولكن الحصان أصبح

أكثر شراسة، وكلما زادت سرعته، شعر عبدالله بأن الأرض تدور تحت قدميه.

"إيما!" صرخ وهو يحاول التمسك بالحصان.

لكن إيما كانت بعيدة، ولم تتمكن من الوصول إليه في الوقت المناسب. في تلك اللحظة، شعر عبدالله بأن العالم من حوله أصبح غامضاً، وكأن كل شيء بدأ يتلاشى. الحصان الذي كان يبدو هادئاً في البداية، أصبح الآن وكأنه يهرب به، وكأن هناك قوة غير مرئية تدفعه للاستمرار.

لحظة الذعر

"تمسك جيداً! لا تجذبه بقوة!" صرخت إيما وهي تحاول اللحاق به، لكن الحصان كان أسرع مما توقعت.

حاول عبدالله التمسك بالسروج، لكنه لم يكن يعرف كيف يهدئ الحصان. كلما حاول شده للخلف، زادت سرعته. رأى أمامه السياج الذي يحيط بالمزرعة، وكان يعرف أن الاصطدام به قد يكون كارثياً. لم يكن أمامه سوى خيار واحد...

في لحظة يأس، قرر القفز، لكن الحظ لم يكن في صفه. علق قدمه في السرج للحظات، وسُحب لعدة أمتار قبل أن يفلت أخيراً، ليجد نفسه يرتطم بجذع شجرة ويسقط أرضاً بقوة.



القلق والإصرار

هرعت إيما نحوه، وجهها شاحب من القلق.

"يا إلهي، عبدالله! هل أنت بخير؟"

شعر بألم في كل أنحاء جسده، لكنه حاول الابتسام لطمأنتها.

"أعتقد أنني لم أعد عربياً أصيلاً كما كنت أظن..." قال وهو يتأوه.

اتصلت بالإسعاف رغم احتجاجه، وعند وصولهم، تأكدوا من أن

إصاباته ليست خطيرة، مجرد كدمات وبعض التورم في وجهه، لكنه لم

يكن يرى بوضوح من إحدى عينيه.

ليلة الأرق والقرار

لم يغمض لعبدالله جفن طوال الليل. كان مستلقياً على سريره، يحرق في السقف المظلم، بينما تتلاعب الأفكار بعقله كأواج لا تهدأ. كيف حدث ذلك؟ كيف فقد السيطرة بهذه السهولة؟ والأهم... ماذا ظنت إيما عنه؟

كان يحاول إقناع نفسه بأن الأمر مجرد حادثة بسيطة، لكن شيئاً ما بداخله كان يرفض هذه الفكرة. لم يكن سقوطه مجرد سقوط جسدي، بل كان سقوطاً أمام إيما، أمام نظرتها التي ربما تحولت إلى شفقة، أو أسوأ... إلى خيبة أمل.

لم يكن الأمر مجرد خوف من الحصان، بل من الصورة التي قدمها عنها. شعر وكأنه فجر الصورة النمطية التي كانت تمتلكها عن العرب — رجال الصحراء، الفروسية، الثبات. ولكن بدلاً من أن يكون ذلك الفارس المغامر، انتهى به الأمر ملقى على الأرض، عاجزاً، يتلوى من الألم.

تقلب في سريره، زفر بضيق، ثم نهض وجلس على حافة السرير، يمرر يديه على وجهه. لم يكن يحتمل أن ينظر إليها مرة أخرى وهو بهذا الضعف. كان عليه أن يصلح ما أفسده، أن يثبت لها، ولربما لنفسه قبل أي أحد، أن ما حدث لم يكن سوى لحظة عابرة، لا تعكس حقيقته.

كان ينتظر شروق الشمس بفارغ الصبر، يحصي الدقائق حتى يحين الوقت ليعود إلى الحصان. هذه المرة، لن يسمح للخوف أن يسيطر عليه. لن يسمح لنفسه بأن يكون موضع شفقة أو استهزاء. عليه أن يواجه الحصان، أن يركبه بثقة، أن يثبت أنه قادر على كسر حاجز الخوف.

ومع أول خيوط الفجر التي تسللت من نافذته، نهض عبدالله بعزم جديد. اليوم، لن يكون سقوطه هو آخر ما تذكره إيما عنه. في اليوم التالي، حين جاءت إيما لزيارته، وجدته جالساً في الحديقة، وكأنه يفكر في شيء مهم. "كيف تشعر؟" سألت وهي تضع يديها على خصرها. "أفضل... لكنني بحاجة إلى مساعدتك في شيء." "ماذا؟"

"أريد أن أركب الحصان مرة أخرى." "هل فقدت عقلك؟ بالكاد نجوت المرة الأولى!" "بالضبط، لهذا السبب يجب أن أجرب مرة أخرى. لا أريد أن أظل أسيراً لخوفي."

صمت إيما للحظة، ثم ابتسمت بإعجاب. "حسناً، أيها الفارس العربي، لنرى ما يمكنك فعله هذه المرة." وهكذا، بدأ عبدالله رحلته الحقيقية، ليس فقط في تعلم ركوب الخيل، بل في مواجهة مخاوفه، والاستمرار في البحث عن ذاته وسط عالم جديد مليء بالتحديات.

رغم الألم الذي كان يشعر به، قرر عبدالله أن يواجه خوفه. عندما وصل إلى المزرعة، كانت إيما في انتظاره مع الحصان "ستورم"، الذي بدأ أكثر هدوءاً من المرة السابقة. لكن عبدالله كان يعلم أن اللحظة التي تسبق ركوب الحصان دائماً هي الأصعب.

"أنا مستعد هذه المرة"، قال عبدالله وهو ينظر إلى الحصان بعينين مليئتين بالعزيمة. كانت نفسه عميقة، يتنفس ببطء، يحاول أن يستجمع شجاعته، ليس أمام إيما فقط، بل أمام نفسه أيضاً.

عندما صعد إلى السرج مرة أخرى، كان قلبه ينبض بسرعة، لكن عقله كان مفعماً بالإصرار. بدأ الحصان يتحرك ببطء، ثم أسرع قليلاً، لكن عبدالله هذه المرة كان مختلفاً. لم يكن يشعر بالذعر، بل بالعكس، كانت يده ثابتتين على السرج، وعقله مركزاً على الحركات الدقيقة للحصان.

"هذا هو! هذا ما كنت أبحث عنه!" همس عبدالله لنفسه وهو يشعر بالإحساس الفريد بالتحكم الذي بدأ يكتسبه مع الحصان. كانت هذه اللحظة بمثابة نقطة تحول له. لم تكن مجرد تجربة ركوب خيل، بل كانت مواجهة مع ذاته. تعلم أن هناك دوماً فرصة ثانية، وأن الوقوع لا يعني النهاية.

بينما كانوا يركبون معاً عبر المروج، شعرت إيما بالفخر تجاه عبدالله. لم يكن الأمر سهلاً عليه، لكنه أثبت لنفسه أنه قادر على تجاوز خوفه، وهذا ما جعلها تنظر إليه بشكل مختلف. "أنت فعلت ذلك!" قالت بهجة.

ابتسم عبدالله، وعينه مليئتين بالثقة الجديدة التي اكتسبها. "نعم، ولكن هناك الكثير من المغامرات التي تنتظرنى." وهكذا، كانت تلك التجربة هي البداية لمرحلة جديدة في حياته، مرحلة مليئة بالتحديات والفرص التي ستجعل من عبدالله شخصاً أكثر

قوة وثباتًا، ليس فقط على ظهر الحصان، بل في مواجهة كل ما قد يواجهه في رحلته الفكرية والروحية القادمة.

صراع الغيرة بين عبدالله وسامي

في الأيام التي تلت مغامرة ركوب الخيل، لاحظ عبدالله أن سامي، صديقه منذ الطفولة، أصبح أكثر بُعدًا عنه. لم يكن الأمر واضحًا في البداية، لكن نظرات سامي وتصرفاته بدأت تعكس شيئًا غير مألوف. لم يكن يتحدث معه بالراحة المعتادة، ولم يعد يبادر في الجلوس بجانبه في قاعة المحاضرات كما كان يفعل دائمًا.

وفي إحدى الأمسيات، وبينما كان عبدالله جالسًا في مكتبة الجامعة، انضم إليه سامي، لكن هذه المرة لم يكن هناك ابتسامة ودودة كالمعتاد. جلس بصمت لثوانٍ، قبل أن يقول بنبرة باردة:

"سمعت أنك قضيت وقتًا ممتعًا مع إيمان."

رفع عبدالله رأسه، ونظر إلى سامي الذي كان يحدّق فيه بملامح متوترة. لم يكن السؤال عاديًا، كان يحمل في طياته معنى آخر. أدرك عبدالله ذلك فورًا، لكنه اختار أن يجيب بهدوء:

"نعم، خرجنا معًا لتجربة ركوب الخيل. لماذا؟"

ارتسمت على وجه سامي ابتسامة باهتة، لم تكن تعبر عن سعادة حقيقية، بل كانت أقرب إلى السخرية.

"لماذا؟ لأنك تعرف جيدًا أنني معجب بها، وتعرف أنني لم أجروا على مصارحتها بذلك. وفجأة أراك تقضي وقتك معها كما لو أن الأمر لا يعني شيئًا."

صمت عبدالله لوهلة، مفكرًا في كلماته قبل أن يرد:

"سامي، لم يكن الأمر كما تتخيل. إيما مجرد صديقة، ولم يكن هناك أي شيء أكثر من ذلك. لم يخطر ببالي أن هذا قد يزعجك."
ضحك سامي، لكن ضحكته كانت مشوبة بالمرارة.
"لم يخطر ببالك؟ ربما لأنك لم تفكر في مشاعري، أو ربما لأنك ببساطة لا ترى هذه الأمور كما أراها."
هنا، شعر عبدالله أن الموقف بدأ يخرج عن السيطرة. لم يكن يريد أن يخسر صداقته مع سامي بسبب سوء فهم، لكنه في الوقت نفسه لم يكن مستعداً للاعتذار عن شيء لم يفعله بقصد الإساءة.
"أفهم مشاعرك يا سامي، وأقدر صداقتنا، لكنني لا أريد أن تكون بيننا حساسيات من هذا النوع. علاقتي بإيما لم تكن سوى صداقة قائمة على النقاشات الفكرية، ولم يكن لدي أي نية أخرى."
نظر إليه سامي بصمت للحظات، وكأنه يقيم صدقه. ثم تنهد وأشاح بوجهه بعيداً.

"ربما كنت مخطئاً في حكمي... لكن الأمر ليس سهلاً بالنسبة لي."
ابتسم عبدالله وربّت على كتف سامي بلطف.
"أعرف ذلك. لكن صداقتنا أهم من أي خلاف عابر، أليس كذلك؟"

نظر سامي إليه أخيراً، ثم أوماً برأسه بصمت، وكأن شيئاً من التوتر قد تلاشى. لكنه، في أعماقه، أدرك أن هذه التجربة كانت درساً له، ليس فقط في الصداقة، بل في كيفية التعامل مع مشاعره بوعي ونضج أكبر.

تأثير الحادثة على عبدالله

عندما عاد عبدالله إلى غرفته تلك الليلة، فكر في الأمر طويلاً. لم يكن الصراع الذي حدث بينه وبين سامي مجرد سوء تفاهم عادي، بل كان يعكس طبيعة البشر في علاقتهم بالمشاعر والتوقعات.

كان سامي صديقاً وفيّاً، لكن الغيرة أعمته للحظات، وجعلته يرى عبدالله في صورة لم تكن حقيقية. ورغم أن الأمور قد هدأت بينهما، إلا أن عبدالله أدرك أن مشاعر البشر معقدة، وأن العلاقات الإنسانية ليست دائماً منطقية أو واضحة.

وفي نفس الوقت، كان هذا الموقف بمثابة اختبار آخر له، ليكتشف أن الأفكار والفلسفة لا تكفي وحدها لفهم الحياة، بل إن المشاعر والعواطف لها دور لا يقل أهمية.

ابتسم لنفسه وهو يفكر: "أحياناً، لا تحتاج الأمور إلى إجابات، بل إلى بعض الوقت فقط."

وبهذا الدرس الجديد، أدرك عبدالله أن رحلته الفكرية لم تكن فقط عن الدين والفلسفة، بل كانت أيضاً عن فهم النفس البشرية بكل تعقيداتها.

في نهاية هذا الفصل، كان عبدالله قد تعلم درساً لا يُنسى: أن الحياة لا تتوقف عند لحظات السقوط أو الفشل، بل هي في القدرة على النهوض ومواصلة المسير. لم تكن مغامرة ركوب الخيل مجرد اختبار لشجاعته، بل كانت أيضاً بداية لفهم أعمق لنفسه، لقدراته، وللحياة التي أمامه. أصبح أكثر قدرة على مواجهة خوفه، وكلما تقدم خطوة جديدة، اكتشف جزءاً من قوته الداخلية التي لم يكن يعلم بوجودها.

لكن، كما هي عادته، لم يكن عبدالله راضياً عن الإجابات التي حصل عليها حتى الآن. كانت أسئلته لا تزال ترافقه، أكثر تعقيداً من أي وقت مضى. ومع هذه التجارب الجديدة، كانت الأفكار تتلاحق في ذهنه، والجروح البدنية التي أصيب بها لم تكن سوى انعكاس للجروح الفكرية والروحية التي كان يواجهها.

وما كان يجهله في تلك اللحظات هو أن مغامرته الكبرى لم تكن في الخيل أو في الريف الإنجليزي، بل كانت في أعماق نفسه، وأن هذه الرحلة لن تكتمل إلا عندما يواجه تلك الأسئلة الكبرى التي ستقوده إلى اكتشافات أكثر عمقاً، وربما إلى تغييرات لم يكن مستعداً لها.

تمهيداً للفصل المقبل، سيجد عبدالله نفسه أمام مفترق طرق جديد، حيث سيكون عليه أن يختار بين الرغبة في البقاء في عالمه الجديد، أو العودة إلى جذوره، أو ربما البحث عن إجابة ثالثة كانت تختبئ بين الأسطر التي لم يقرأها بعد.

الفصل الخامس: الغوص في الفكر اليهودي

بعد تعافيه من حادثة الحصان، عاد عبدالله إلى رحلته الفكرية وكأن شيئاً لم يكن. كانت النقاشات المستمرة مع جورج ورجل الدين المسيحي قد فتحت أمامه أبواباً جديدة من التساؤلات. بدأ يقرأ عن تاريخ المسيحية، لكنه سرعان ما وجد نفسه ينجذب إلى موضوع لم يكن يتوقعه: تأثير اليهودية على الأديان الأخرى.

في إحدى الأمسيات، بينما كان يجلس في مكتبة الجامعة محاطاً بالكتب، التقط كتاباً يتحدث عن العلاقة بين العهد القديم والجديد. تصفح الصفحات بعناية، وكلما قرأ أكثر، شعر وكأنه يكتشف شيئاً كان مخفياً عنه طوال حياته.

"انتظر لحظة... هل يعني هذا أن الكثير من تعاليم المسيحية جاءت في الأصل من الفكر اليهودي؟" تتمم بينه وبين نفسه. شعر وكأنه وجد خيطاً يقوده إلى إجابة أكبر، لكنه لم يكن متأكداً بعد من الوجهة التي يسير نحوها.

بينما كان عبدالله يواصل الغوص في الكتاب، بدأ يلاحظ أن هناك روابط عميقة بين الأديان، قد تكون أكثر تعقيداً مما كان يتصور. كانت المسيحية، على الرغم من تميزها برسالة يسوع المسيح، تستند إلى التوراة والعهد القديم بشكل كبير، وكانت تعاليمها متأثرة بشكل واضح بالفكر اليهودي. الأمر الذي جعله يتساءل: هل كان هذا التأثير هو ما جعل الأديان تتشابه في بعض جوانبها؟

استمر في قراءة المزيد عن تاريخ اليهودية، وعلاقتها بالعهد القديم، وتفسيراتهم الخاصة للكتاب المقدس. كان يكتشف كل يوم

جوانب جديدة عن الله، والأنبياء، والوعود التي تم تلقيها. اكتشف أن الديانة اليهودية ليست مجرد مجموعة من الطقوس والتقاليد، بل هي تاريخ طويل ومعقد من الصراع الروحي والعقائدي مع الله. ومع مرور الأيام، بدأ عبدالله يتساءل إذا ما كانت هذه الاكتشافات ستساعده في فهم نفسه والعالم من حوله. هل يمكن أن تكون الأديان الثلاثة متشابكة بهذه الطريقة العميقة؟ هل كان الإسلام، كما فهمه، متأثراً أيضاً بهذه الجذور اليهودية؟ وما هي الحقيقة التي يمكنه الوصول إليها في النهاية؟

في إحدى الليالي، قرر أن يناقش هذه الأفكار مع جورج، إذ شعر بأن الأسئلة التي بدأت تراوده كانت بحاجة إلى من يشاركه إياها، ربما يساعده في وضع الأمور في نصابها الصحيح. ولكن لم يكن يعلم أن هذه المحادثة ستكون بداية لاكتشاف أكبر من مجرد الروابط بين الأديان؛ بل كانت بداية لفهم أعمق لمعنى الإيمان والبحث عن الحقيقة.

نقاش مع جورج

في تلك الليلة، جلس مع جورج في المطبخ، يحتسيان الشاي بعد العشاء. بدا جورج متحمساً كعادته لأي فرصة للحديث عن الدين. "جورج، لدي سؤال يحيرني..." قال عبدالله وهو يقلب كوب الشاي بين يديه.

"تفضل، صديقي، أحب أسئلتك دائماً!" رد جورج مبتسماً.

"كنت أقرأ عن العلاقة بين اليهودية والمسيحية، وأشعر أن الأخيرة تأثرت كثيراً بالأولى... لكنني بدأت أتساءل، هل يمكن أن يكون هناك تأثير مشابه على الإسلام؟"

توقف جورج عن تقليب السكر في كوبه ونظر إليه باهتمام. "هذا سؤال مثير، عبدالله. لكن أليس الإسلام قائماً بذاته كدين مستقل؟"
"نعم، هذا ما تعلمته طوال حياتي، لكنه دين سماوي أيضاً، ويعترف بالأنبياء السابقين... فماذا لو كانت بعض التعاليم أو الممارسات قد انتقلت من اليهودية إلى الإسلام كما حدث مع المسيحية؟"

ابتسم جورج بمكر وقال: "أوه، أعتقد أنك دخلت في منطقة شائكة الآن."

ضحك عبدالله وقال: "أنا معتاد على ذلك."
أخذ جورج نفساً عميقاً قبل أن يرد: "أنت على حق في أن الإسلام يعترف بالأنبياء السابقين، ويعتبر نفسه مكملًا لتلك الأديان، لكنه يختلف في الكثير من جوانب العقيدة والتشريع. أعتقد أن الإسلام قد جاء ليصقل ما قبله من الديانات، وأنه ليس مجرد امتداد لها، بل هو إتمامٌ لما بدأه الأنبياء السابقون."

"لكن، أليس من الممكن أن يكون هناك تأثيرات متبادلة بين الأديان؟" قال عبدالله، محاولاً استكشاف الأمر أكثر. "على سبيل المثال، كيف تفسر المفاهيم المشتركة بين الإسلام واليهودية، مثل التوحيد، وقصص الأنبياء، والأحكام الشرعية؟"

"أنت تسأل عن تأثير فكري وثقافي، وأعتقد أن هناك تداخلاً طبعياً بين الأديان التي نشأت في نفس المنطقة الجغرافية"، رد جورج، ثم

أضاف بصوت هادئ: "لكن الإسلام، في جوهره، يأتي ليصحح المسار. يقدم مفاهيم جديدة، ويؤكد على رسالة الوحدانية بشكل غير مسبوق."

نظر عبدالله إلى جورج وقال:

"من خلال قراءتي خلال هذه الفترة القصيرة عن اليهودية والتوراة، وجدت أن اليهود لا يعتمدون على التوراة كمصدر أساسي كما قد نعتقد. بل يعتمدون على التلمود والكبالات، بينما تُستخدم التوراة كواجهة لإظهار أنهم أهل كتاب. لكن في الواقع، تعاليم التلمود والكبالات تتعارض مع جوهر رسالة موسى."

رفع جورج حاجبيه وسأل باهتمام: "ماذا تقصد؟"

تنهد عبدالله وبدأ يشرح:

"التلمود هو مجموعة من التفسيرات والشروحات التي كتبها الحاخامات على مدى قرون، ويتضمن قوانين دينية، وقصصاً، وتأويلات تبتعد في كثير من الأحيان عن روح التوحيد التي جاء بها موسى. بعض أجزائه تحتوي على تشريعات وتفسيرات تعزز النزعة القومية والانغلاق الديني، بل وتضع الحاخامات في منزلة أعلى من الأنبياء."

توقف قليلاً ليمنح جورج فرصة لاستيعاب كلامه، ثم تابع:

"أما الكبالات، فهي مدرسة صوفية يهودية تعتمد على تأويلات باطنية وعقائد غامضة تتعلق بالأرقام والرموز والسحر، وتصور الكون بطريقة تتداخل مع المعتقدات الوثنية القديمة. في بعض الأحيان، تصل أفكار الكبالات إلى حد إعطاء الإنسان صفات إلهية، وهو ما يتناقض مع رسالة موسى التي قامت على التوحيد الخالص ونبد الشرك."

أوما جورج برأسه مفكراً، ثم قال: "إذن، أنت ترى أن الخطر يكمن في أن هذه التفسيرات والكتب قد حرّفت جوهر الرسالة الأصلية؟" ابتسم عبدالله وأجاب:

"بالضبط. موسى جاء برسالة توحيدية تدعو لعبادة الله وحده، لكن عبر الزمن، تمت إعادة تفسيرها بطرق مختلفة، وأضيفت إليها طبقات من التعاليم البشرية التي غيرت مسارها. وهذا هو الفارق الجوهرى بين رسالة النبي كما نزلت، وبين الممارسات الدينية التي تطورت لاحقاً بفعل الاجتهادات البشرية."

نظر جورج إليه بتمعن وقال: "مثير جداً... لم أفكر في الأمر بهذه الطريقة من قبل."

ظل عبدالله يفكر في كلام جورج. كانت الأسئلة تتراكم في ذهنه، ورغم أنه بدأ يشعر بشيء من التوضيح، إلا أن هذا النقاش لم يكن سوى بداية لفهم أعمق. كان بحاجة لمواصلة البحث واكتشاف الروابط بين الأديان بطرق لم يكن يتصورها من قبل.

ثم قال عبدالله وهو يتسم قليلاً: "ربما كنت أفكر في هذا الموضوع بشكل معقد أكثر من اللازم."

أجاب جورج: "الحقيقة دائماً معقدة، عبدالله. لكن لا يجب أن تخشى طرح الأسئلة. إذا كنت تبحث عن الحقيقة، فلن تجدها إلا من خلال التساؤل المستمر."

وفي تلك اللحظة، شعر عبدالله أن رحلته لم تكن مجرد رحلة فكرية، بل كانت أيضاً رحلة روحية. بدأت الأسئلة تزدد، ولكن الإجابات كانت تتلاشى في ضباب من الشكوك والتحديات التي ما زالت تنتظره.

مع مرور الأيام، أدرك عبدالله أن اكتشاف الحقيقة ليس مجرد جمع المعلومات، بل هو عملية مستمرة من التحليل العميق والمراجعة المستمرة.

مواجهة جديدة مع رجل الدين

في نهاية الأسبوع، حضر عبدالله جلسة جديدة مع العائلة المضيفة ورجل الدين المسيحي. بدا الرجل واثقاً كعادته، وكان يتحدث عن كيف أن المسيحية هي امتداد لما جاء به العهد القديم. رفع عبدالله يده مستأذناً في الكلام: "لكن أليس العهد القديم هو كتاب اليهود؟ إذا كانت المسيحية امتداداً له، فكيف تكون ديانة مختلفة تماماً؟"

بدت على رجل الدين علامات الانزعاج، لكنه أجاب بابتسامة متكلفة: "نعم، لكننا نؤمن بأن العهد القديم كان مقدمة لمجيء المسيح، الذي جاء برسالة جديدة."

"لكنكم ما زلتم تتبعون الكثير من التعاليم اليهودية، أليس كذلك؟" تداخل جورج في الحديث قائلاً: "هذه نقطة مثيرة للاهتمام، عبدالله. حتى في السياسة، ترى أن العلاقات بين المسيحيين المتدينين واليهود قوية جداً، رغم اختلاف الديانتين ظاهرياً."

هنا، شعر عبدالله بأن لديه سؤالاً أكثر جرأة: "إذن، إذا تأثرت المسيحية باليهودية بهذا الشكل، هل يمكن أن يكون الإسلام قد تأثر أيضاً؟"

ساد الصمت لثوانٍ، ثم قال رجل الدين بحذر: "هذا سؤال يجب أن تبحث عنه بنفسك."

"وهذا بالضبط ما سأفعله." قال عبدالله بحزم، وهو يدرك أن رحلته الحقيقية قد بدأت للتو.

أجاب جورج قائلاً: "أنا متأكد أن عبدالله لن يتوقف عن البحث، مهما كانت الإجابات التي سيحصل عليها. وهذا ما يعجبني فيه، أنه لا يتوقف عند أول إجابة تجيب على سؤاله، بل يواصل الغوص في التفاصيل حتى يكشف الصورة الكاملة."

لكن عبدالله كان قد شعر بشيء أكبر من مجرد حوار عادي مع رجل الدين. كان هناك شعور داخلي يخبره أن هذه الأسئلة ليست مجرد نقاشات فكرية، بل هي مفاتيح لفهم شيء أعمق في حياته. رحلته لم تكن تقتصر فقط على مقارنة الأديان أو فهم تأثير بعضها ببعض؛ بل كانت رحلة اكتشاف الذات.

نظر إلى رجل الدين وقال: "أعتقد أنني على وشك اكتشاف شيء جديد. ربما لا أجد الإجابة التي كنت أبحث عنها في الأديان المختلفة، لكنني متأكد من أنني سأجدها في نفسي."

ابتسم رجل الدين بصوت هادئ وقال: "قد يكون ذلك صحيحاً. البحث عن الحقيقة هو الطريق الأهم. لكن تذكر دائماً أن الطريق طويل، والعديد من الإجابات قد تفتح أمامك أسئلة أكبر."

في تلك اللحظة، شعر عبدالله أن كل خطوة جديدة في هذه الرحلة ستكون أكثر تعقيداً من السابقة، لكنه أصبح مستعداً للمضي قدماً. كل سؤال كان يطرحه لم يكن سوى بداية لتحدي أكبر، وتحدي هذه المرة لم يكن فقط في الأديان، بل في فهمه لعالمه الداخلي.

إصرار على البحث

عاد عبدالله إلى غرفته تلك الليلة، محملاً بالمزيد من الكتب والمقالات. كان يعلم أن هذا الطريق قد يقوده إلى صدامات كبيرة، وربما إلى أسئلة لم يكن مستعداً لمواجهتها. لكنه لم يعد يهتم.

نظر إلى المرأة، تأمل ملامحه للحظات، ثم ابتسم وقال لنفسه بصوت خافت: "حسناً يا عبدالله... لنرَ إلى أين ستأخذني هذه الرحلة."

جلس عبدالله على سريريه، وأمامه مكس من الكتب والملاحظات التي جمعها خلال الأسابيع الماضية. بينما كانت الكتب تنقل له تفاصيل دقيقة عن تاريخ الأديان، كانت أفكاره تنتقل بين أسئلة أكبر وأعمق. كان يشعر بشغف حقيقي لاكتشاف أبعاد جديدة عن الأديان والعقائد، لكن كان هناك شيء في داخله يهمس له: هل سيجد إجابة ترضي هذا العقل المتسائل؟

أغمض عينيه للحظة، ثم أعاد فتحهما. قرر أنه لن يتوقف عند أي إجابة سريعة أو مريحة، بل سيستمر في البحث حتى لو كانت الإجابات ستزداد تعقيداً. قرر أن يكون ملتزماً بالحقيقة مهما كانت مريرة. كانت هذه اللحظة بالنسبة له نقطة تحول حقيقية، حيث أصبح على يقين أن رحلته لن تكون مجرد استكشاف للأديان، بل اكتشاف لوجوده الشخصي ومعتقداته.

وضع يده على الكتاب الأخير الذي كان يقرأه، وأخذ نفساً عميقاً. "لن أراجع، سأتابع البحث حتى النهاية." همس لنفسه، مدركاً أن هذا البحث قد لا يقتصر على إيجاد الإجابة الوحيدة، بل قد يكون في الأسئلة نفسها ما يفتح له أبواباً جديدة للفهم.

ثم، نظر إلى نافذة غرفته حيث كان ضوء القمر يتسلل عبر الستائر، وكأنه يضيء له الطريق.

الفصل السادس: ازدواجية المعايير

لم يكن عبدالله يدرك أن رحلته في البحث عن الحقيقة ستقوده إلى أكثر من مجرد تساؤلات دينية. مع مرور الوقت، بدأ يرى تناقضات لم يكن يلاحظها من قبل، ليس فقط في الدين، بل في طريقة تفكير مجتمعه بأكمله.

كانت هناك صورة لا تفارق ذهنه منذ صغره: مجموعة من رجال قريته يجلسون في الديوان، يحتسون القهوة، ويتحدثون عن السياح الإنجليز الذين يزورون القرى القديمة. "هؤلاء الكفار لا دين لهم، لا قيم، جاؤوا لإفساد شبابنا!" قال أحدهم بغضب.

"نعم، والله العظيم لو لم يكن عندي أشغال، كنت طلعت لهم بنفسي وعلمتهم الأدب." أضاف آخر وهو يهز رأسه باستياء. لكن عبدالله، الذي كان يجلس في زاوية المجلس يستمع بصمت، كان يعرف أن نفس هؤلاء الرجال سيفتحون التلفاز بعد دقائق، ليشاهدوا بتركيز شديد استقبال ملك البلاد للملكة إليزابيث. سيبدون إعجابهم بالبروتوكول الملكي، ويمتدحون ذكاءها السياسي، ثم يبدؤون في تحليل العلاقات بين البلدين كأنهم خبراء في الدبلوماسية الدولية. "سبحان الله، عندهم نظام صارم يحترمه الجميع!" قال أحدهم وهو يتابع المشهد بإعجاب.

"شوف كيف ينحنون لها باحترام، احنا لو عندنا مثل هذا النظام، كان الدنيا بخير!"

عبدالله لم يكن يفهم وقتها، لكنه الآن يرى الأمور بوضوح. لماذا هذا التناقض؟ لماذا على المستوى الشعبي يُنظر إلى الغرباء بازدراء، بينما على المستوى الرسمي يتم التعامل معهم وكأنهم صفوة البشر؟ بدأ عبدالله يشعر بأن هذا التناقض هو جزء من ثقافة متجذرة في مجتمعه، ثقافة تربط بين الاعتقاد المعلن والواقع المتناقض. فبينما يُعلم الناس في قريته أن الغرب يُعتبر رمزاً للفساد والانحلال، كانوا في نفس الوقت يشيدون بكل ما يتعلق به عندما يكون الأمر في مصلحتهم. لم يكن هذا مجرد تناقض في الرأي، بل كان أكثر من ذلك: كان انعكاساً لحالة من الازدواجية التي تمس كل جانب من جوانب حياتهم.

تذكر كيف كان كبار السن في قريته يتحدثون عن "الأجانب" وكأنهم خطر، بينما كانوا في نفس الوقت يعتمدون على كل شيء جاء منهم: التقنية، والتعليم، والطب، وحتى الثقافة. كانوا يتناولون منتجات الشركات الغربية بأيدٍ مفتوحة، ويتابعون البرامج والأفلام الأجنبية بشغف، ولكنهم لا يعترفون أبداً بتأثير هذه الثقافات على حياتهم.

بدأ عبدالله يتساءل: هل كان هذا الازدواج هو سمة من سمات الجميع؟ هل كان يكمن فينا جميعاً نوع من التناقض بين ما نؤمن به وما نمارسه؟

شعر أن هذا الانفصام في التفكير هو الذي قاد إلى حالة من الغموض والتشتت في فهم الأديان والمعتقدات. حتى في المسائل الدينية، كان يرى كيف أن البعض يدافع عن عقيدته بعنف في حين أنه لا يتردد في انتهاك بعض من مبادئها عندما يتعارض ذلك مع مصالحه الشخصية. كان يعتقد أن الناس أحياناً يؤمنون بالأفكار التي تريحهم، ولكنهم لا يستطيعون تطبيقها بشكل كامل عندما يتعلق الأمر بالواقع.

ثم استعاد في ذهنه إحدى المناقشات التي دارت بينه وبين جورج عن التناقضات في تعاليم الأديان، وكيف أن حتى داخل الديانة الواحدة، يمكن أن يكون هناك تعاليم وأفكار متضاربة. في تلك اللحظة، شعر أن معركته كانت أكبر من مجرد البحث عن الحقيقة الدينية، بل كانت معركة لفهم ذاته، وفهم لماذا يختار البشر أحياناً أن يعيشوا في ظل ازدواجية المعايير دون أن يدركوا ذلك.

حوار مع جورج : صدمة ثقافية!

في إحدى الأمسيات، كان عبدالله يتناول العشاء مع جورج وزوجته مارغريت، عندما قرر أن يشاركهم هذا التساؤل.
"جورج، عندي لك سؤال قد يبدو غريباً."
"أوه، أحب الأسئلة الغريبة، تفضل!" قال جورج بابتسامة وهو يقطع قطعة من اللحم المشوي.

"لماذا تعتقد أن بعض المجتمعات تعامل الأجانب بازدراء على المستوى الشعبي، لكنهم في نفس الوقت يقدسونهم على المستوى الرسمي؟"

ضحكت مارغريت وقالت: "أوه، عزيزي، نحن الإنجليز لدينا خبرة طويلة في هذه اللعبة!"

رفع جورج حاجبيه وقال مازحاً: "تقصدين أننا محترفون في جعل الناس يحبوننا ويكرهوننا في نفس الوقت؟"

ضحك عبدالله وقال: "بالضبط! أنا أرى هذا في بلادي، الناس العاديون يعتبرون الغربيين رمزاً للفساد، لكن الحكومات تتعامل معكم وكأنكم أنبياء العصر الحديث."

هنا، وضع جورج شوكتة على الطاولة وقال بجدية: "هذه ليست مشكلة بل ذلك فقط، عبدالله. البشر بطبيعتهم يخافون مما لا يفهمونه، لكنهم يحترمون القوة والنجاح. الغرب كان قوياً اقتصادياً وعسكرياً لقرون، وهذا جعل الناس منبهرين به رغم كرههم له."

أخذ عبدالله نفساً عميقاً، ثم قال: "إذن، الأمر ليس عنصرياً فقط، بل هو نوع من الازدواجية النفسية؟"

"بالضبط!" قال جورج وهو يرفع كأس الماء وكأنه يعلن انتصاراً فكرياً. "أنت ترى الأمر بوضوح الآن!"

عبدالله تأمل في كلمات جورج وهو يستمع إليها بتمعن. كان قد شعر بأن هناك شيئاً غير مرئي يدير العالم من وراء الستار، شيئاً يتجاوز مجرد التصورات السطحية أو المفاهيم الاجتماعية البسيطة. كانت الازدواجية النفسية التي تحدث عنها جورج تبدو أكثر من مجرد سمة اجتماعية، بل كانت جزءاً من هيكل أعمق، يعكس كيفية تعامل البشر مع التغيير، والتطور، وحتى الخوف من المجهول.

"إذن، نحن نتعامل مع العالم بهذه الطريقة فقط لأننا نشعر بالضعف أمام القوى التي لا نفهمها تماماً، لكننا نرغب في محاكاة نجاحها، حتى لو كان ذلك يعني رفضها في نفس الوقت؟" قال عبدالله بتساؤل.

"بالضبط، نحن لا نحب أن نشعر بالعجز، لذلك نضع أنفسنا في موقف مزدوج. نعتقد أننا بحاجة إلى احترام القوي والناجح، ولكننا في نفس الوقت نحاول الحفاظ على هويتنا الخاصة خوفاً من أن نفقدها." رد جورج بحذر.

ضحكت مارغريت قائلة: "أعتقد أن البشر دائماً ما يواجهون هذا الصراع. نحن بحاجة إلى التوازن بين قبول الآخر والحفاظ على أنفسنا.

ولكن، أليس هذا جزء من التقدم؟ أن نتعلم كيف نكون في نفس الوقت مفتوحين ومستقلين؟"

صمت عبدالله للحظة، ثم قال: "أعتقد أنني بدأت أفهم. نحن نعيش في عالم يسوده التناقض، وفي كثير من الأحيان، تكون الأسئلة أكثر تعقيداً من الإجابات."

"هذا صحيح تماماً، عبدالله." قال جورج بابتسامة، "لكن هذا هو جمال الحياة، أليس كذلك؟ البحث المستمر عن الحقيقة في عالم مليء بالغموض."

بينما كان عبدالله يتأمل في هذه الفكرة، شعر أن مشواره الفكري قد أصبح أكثر تحدياً. لم يكن يبحث فقط عن إجابات دينية، بل كان يواجه الحقيقة المرة عن كيف أن البشر، في بحثهم عن الأمان والنجاح، قد وقعوا في فخ التناقضات. ومع ذلك، كانت هذه الرحلة هي التي قد تمنحه الفهم الحقيقي عن ذاته والعالم من حوله.

تفكير أعمق : المشكلة ليست في الدين فقط

في تلك الليلة، عاد عبدالله إلى غرفته، لكنه لم يستطع النوم بسهولة. كان عقله ممتلئاً بالأسئلة، لكن لأول مرة، لم يكن الدين هو محور تساؤلاته.

بدأ يدرك أن المشكلة لم تكن فقط في الفهم المغلوط للدين، بل في طريقة تفكير مجتمعه ككل. كان هناك شيء غير منطقي في العقلية السائدة، شيء يجعل الناس يتحدثون عن المبادئ والقيم، ثم يتصرفون بعكسها تماماً عندما تكون هناك مصلحة.

وقف أمام المرأة، نظر إلى نفسه، وابتسم بخفة وهو يتمتم: "حسنًا يا عبدالله، يبدو أنك لم تبدأ رحلتك الحقيقية بعد."

تفكير أعمق: المشكلة ليست في الدين فقط، بل في العقلية في تلك الليلة، عاد عبدالله إلى غرفته، لكنه لم يستطع النوم بسهولة. كان عقله ممتلئًا بالأسئلة، لكن لأول مرة، لم يكن الدين هو محور تساؤلاته.

بدأ يدرك أن المشكلة لم تكن فقط في الفهم المغلوط للدين، بل في طريقة تفكير مجتمعه ككل. كان هناك شيء غير منطقي في العقلية السائدة، شيء يجعل الناس يتحدثون عن المبادئ والقيم، ثم يتصرفون بعكسها تمامًا عندما تكون هناك مصلحة.

وقف أمام المرأة، نظر إلى نفسه، وابتسم بخفة وهو يتمتم: "حسنًا يا عبدالله، يبدو أنك لم تبدأ رحلتك الحقيقية بعد."

ولكنه فجأة تساءل: ماذا لو لم تكن هذه التجربة مجرد مصادفة؟ ماذا لو أن الله قد هيأ له هذه الرحلة ليصل إلى هذا الإدراك العميق؟ بدأ يشعر بأن عليه مسؤولية أكبر، أن هذه الأسئلة التي تملأ عقله ليست مجرد أفكار شخصية، بل قد تكون المفتاح لفهم اختراقات فكرية ودينية لم يتطرق إليها أحد من قبل.

في تلك اللحظة، ولدت في ذهنه فكرة، لم يكن يعرف كيف ومتى سيحققها، لكنها كانت واضحة: "لا يكفي أن أبحث وحدي... لا بد أن يكون هناك مركز علمي مستقل، يعيد دراسة كل هذه المفاهيم بعيداً عن العاطفة، وبحيادية علمية، لكشف الحقيقة كما هي، لا كما يفرضها الآخرون."

شعر بشيء من الراحة، وكأنه وجد الهدف الذي كان يبحث عنه. لم يعد يرى هذه التجربة كرحلة شخصية، بل كخطوة أولى نحو مشروع أكبر... مشروع قد يغير فهمه للحياة تمامًا.

بينما كان عبدالله يقف أمام المرأة، بدأت تتضح له ملامح طريق جديد. لم يكن فقط يسعى إلى حل لغز الدين والتاريخ، بل كان ينوي إعادة تقييم طريقة تفكير المجتمع بأسره. كانت فكرة إنشاء مركز علمي مستقل تهيمن على ذهنه، مركز لا يعتمد على الانتماءات الدينية أو الثقافية، بل يسعى إلى كشف الحقيقة من خلال البحث الموضوعي والعلمي.

"قد أحتاج إلى وقت، لكنني الآن متأكد من أن هذا ما يجب أن أفعله"، فكر في نفسه وهو يحدق في انعكاسه. "لن أستطيع حل هذه الألغاز وحدي. يجب أن أعمل مع آخرين ممن يؤمنون بالبحث الحر بعيداً عن التحيزات."

شعر بشيء من الهدوء الداخلي، كأن عبئاً قد زال عنه. كانت هذه الأفكار هي أولى لبنات بناء حلمه الجديد: مركز يضع الأسئلة الكبرى في قلب نقاشات فكرية جادة، بعيداً عن الدين والسياسة. ربما كان ذلك هو الطريق الذي سيؤدي به إلى فهم أعمق ليس فقط لثقافته، بل للعالم من حوله.

وهو يطفئ المصباح استعداداً للنوم، شعر بأن حلمًا جديدًا قد بدأ يتشكل في عقله، وأدرك أنه قد دخل بالفعل مرحلة جديدة من رحلته الفكرية.

الفصل السابع: الصدام مع الموروث

لم يكن عبدالله يدرك تمامًا إلى أي مدى تغير حتى جاء ذلك الاتصال مع والده. كان يجلس في غرفته في المسكن الجامعي، كوب من القهوة بجانبه، والمطر يتساقط بخفة على النافذة، عندما قرر أن يتصل بوالده.

رن الهاتف، وبعد لحظات جاء صوت والده الجاف لكنه دافئ: "السلام عليكم يا عبدالله، كيف حالك؟ هل تأكل جيدًا؟ هل تصلي في وقتك؟"

ابتسم عبدالله قليلاً، يعلم أن والده لن يسأل عن شيء آخر قبل أن يطمئن على صلاته. رد مازحاً:

"وعليكم السلام يا أبي، لا تقلق، لم أتحول إلى قسيس بعد. ضحك الأب للحظة، لكنه سرعان ما قال بنبوة جديدة:

"لا تمزح في هذه الأمور، يا بني. أخبرني، كيف دراستك؟" تنهد عبدالله، ثم قرر أن يخوض في الموضوع الذي يشغل تفكيره منذ مدة:

"أبي، أريد أن أسألك شيئاً... هل تعتقد أن الإيمان يجب أن يكون مبنياً على المعرفة، أم على التلقين؟"

ساد الصمت للحظة، ثم جاءه رد الأب حاسماً:

"الإيمان بسيط يا بني، كلما فكرت أكثر، كلما أفسدت إيمانك. لا ترهق نفسك بهذه الأسئلة."

شعر عبدالله وكأن صاعقة ضربت رأسه. لم يكن يتوقع هذا الجواب، لكنه في أعماقه كان يعرف أن هذه هي الطريقة التي يفكر بها والده، بل والطريقة التي تربي عليها معظم من حوله. قال ببطء، وكأنه يحدث نفسه أكثر مما يخاطب والده: "لكن... أليس الله هو من منحنا العقل؟ لماذا يمنحنا أداة ثم يطلب منا ألا نستخدمها؟"

جاء صوت والده حاداً هذه المرة، وكأن الحديث بدأ يزعجه: "عبدالله، لا تجعل هذه البلاد تفسدك. أعرف أنك ذكي، لكن لا تنه في هذه الأمور، فتندم لاحقاً. تمسك بدينك كما تربيته عليه، ودع عنك هذه الأسئلة التي لا فائدة منها." حاول عبدالله أن يرد، لكنه أدرك أن النقاش قد انتهى.

"حسنًا، سأحاول... سلم لي على أُمي." أغلق الهاتف، وبقي ممسكاً به للحظات، كأنما لم يصدق ما حدث. حدّق في الجدار أمامه، يحاول أن يستوعب الأمر. هل فعلاً التفكير يفسد الإيمان؟ أم أن الإيمان الحقيقي يجب أن يكون قائماً على المعرفة، لا على الخوف؟

ضحك بمرارة، ثم تحدث بصوت منخفض كأنه يخاطب نفسه: "إذن... التفكير مرض؟ يا إلهي، لو كان أفلاطون قد ولد في قريننا، لكانوا أحرقوه."

شعر بمرارة وغربة لم يشعر بهما من قبل. لم يكن هذا مجرد صدام فكري، بل كان بداية إدراكه أنه لم يعد ينتمي إلى مجتمعه كما كان في السابق. لم يكن الأمر مجرد أسئلة عابرة، بل كان إحساساً متزايداً بأنه يسير في طريق مختلف تماماً عن طريق والده وأهله.

نهض من مكانه، ارتدى معطفه، وخرج إلى الشارع. كان الهواء بارداً، لكنه شعر بأنه بحاجة إلى هذه النسيمات الباردة لتنقي أفكاره. سار بلا هدف، يتأمل وجوه الناس، ويسأل نفسه:

"هل سأتمكن يوماً من العودة؟ وإن عدت، هل سأكون ذات الشخص؟ أم أنني قد عبرت الجسر، ولم يعد هناك طريق للعودة؟" في تلك اللحظة، شعر عبدالله بحالة من الضياع العميق. كانت أسئلة كثيرة تدور في ذهنه، وحيرة أكبر تملؤه، لكنه لم يجد إجابة شافية. كان يسير في الشارع دون وجهة واضحة، قدماء تلامسان الرصيف بخفة، لكن عقله كان يسبح في بحر من التساؤلات.

فجأة، توقف أمام أحد المقاهي الصغيرة. لم يكن متأكداً لماذا قرر دخول هذا المكان، لكنه شعر بحاجة ماسة للحديث مع شخص آخر، شخص يمكن أن يقدم له نوعاً من الفهم، أو على الأقل يساعده على ترتيب أفكاره. دفع الباب ودخل، وجد طاولة في الزاوية، وجلس هناك وهو يراقب الزبائن الآخرين وهم يتحدثون بهدوء. كانت عيناه تبحثان عن شيء مجهول، شيء يخفف من الارتباك الذي يشعر به.

جلس مع نفسه لبعض الوقت، ثم قرر الاتصال بجورج. لم يكن يريد أن يشعر بالعزلة أكثر. بعد بضع دقائق، رد جورج على الهاتف، وكان صوته يحمل نبرة من الحذر: "أهلاً عبدالله، كيف حالك؟" "جورج، أحتاج إلى أن أتحدث معك." قال عبدالله وهو يحاول أن يخفي توتره. "أشعر أنني عالق في مكان ما بين فكرتين، بين إيماني ومجتمعي. والدي أخبرني أن التفكير في الدين يمكن أن يفسد الإيمان، ولا أعرف ماذا أعتقد بعد الآن."

من الجهة الأخرى من الخط، ساد الصمت لشوان، ثم جاء صوت جورج الهادئ والمريح: "عبدالله، هل تعتقد أن التفكير في الدين قد يفسده؟ أم أن التفكير هو الذي يحقق الفهم الحقيقي؟" أغمض عبدالله عينيه، وكان كأن الصوت ينقله إلى مكان أكثر هدوءاً، لكنه ظل يشعر بالحيرة. "أشعر وكأنني أخون شيء عزيز عليّ عندما أفكر خارج المألوف، لكن في نفس الوقت لا أستطيع أن أصدق أن الإيمان يجب أن يكون أعمى. هل يمكنني أن أكون مؤمناً وأشك في الوقت نفسه؟"

رد جورج بهدوء: "الإيمان لا يعني أن تكون لديك كل الإجابات، لكنه يعني أن تسعى وراء الحقيقة، مهما كانت الطرق التي تقودك إليها. لا تجعل خوفك من الرفض الاجتماعي يعترض طريقك. أن تسعى وراء الحقيقة هو فعل نبيل، وليس خطأ." شعر عبدالله بشيء من الراحة، كما لو أن جورج قد منح كلماته الوزن الذي كان يبحث عنه. لكنه ما زال يشعر بالضيق، وكأن الجسر الذي كان يعبره بدأ ينهار من تحته. "لكن ماذا عن العودة إلى المنزل؟ ماذا عن والدي؟"

"ربما لن تجد الإجابة الصحيحة في عيون الآخرين، لكنك قد تجدها في عيونك أنت. أنت فقط من يملك الحق في تحديد الطريق الذي ستسلكه، لا أحد غيرك." أجاب جورج بصوت هادئ لكن حازم. أغلق عبدالله الهاتف، لكن تلك الكلمات ظلت تتردد في ذهنه. "أنت فقط من يملك الحق في تحديد الطريق." بدأ يشعر بأنه قد اقترب من الوصول إلى نقطة فاصلة في رحلته. ربما كانت هذه اللحظة هي بداية الإجابة، أو ربما هي بداية السؤال الحقيقي.

جلس عبدالله في المقعد الذي اختاره في المقهى، وأغمض عينيه للحظة، كما لو كان يحاول امتصاص كل ما مر به خلال الأيام الماضية. كانت أفكار جورج تردد في عقله، ولكنها كانت مزيجاً من الراحة والقلق. على الرغم من أن الطريق أمامه ما زال غير واضح، إلا أنه شعر بشيء جديد يتشكل بداخله. لم يعد الإيمان مجرد طقوس وأحكام مفروضة، بل أصبح رحلة داخلية، معركة بين العقل والقلب، وبين الماضي والحاضر.

لحظة فارقة كانت في انتظاره. لم يعد بإمكانه العودة إلى ما كان عليه. كانت الأسئلة تتعمق في نفسه، وكانت الحيرة تزداد كلما اقترب من الإجابة. لكن في نفس الوقت، شعر بشيء من القوة، قوة في القدرة على البحث، على السعي وراء الفهم.

تأمل في المرأة داخل المقهى، ورأى في عينيه شيئاً جديداً. لم يكن يملك جميع الإجابات بعد، ولم يكن متأكداً من أي طريق سيسلكه، لكن الأمر كان واضحاً في ذهنه: لم يعد يمكنه أن يظل عالقاً في المكان الذي بدأ فيه.

ابتسم قليلاً، وأخذ نفساً عميقاً، كأنه يخطو خطوة جديدة في رحلة لم يكن يعرف إلى أين ستقوده. "الرحلة لم تنتهِ بعد"، قال في نفسه، بينما كانت السماء تمطر بهدوء في الخارج، وكأنها تشر الأمل في قلبه، وتهينه للخطوات القادمة.

وهكذا انتهى الفصل، ولكنه كان بداية لحياة جديدة يخطو فيها عبدالله بخطوات أكثر ثقة، يسعى وراء الحقيقة التي بدأ يشعر بأنها أكثر تعقيداً مما كان يتصور.

عبدالله: (وهو ينظر من نافذة المقهى في لندن إلى الشارع المبتل بالمطر) يبدو أن التناقضات ليست حكرًا علينا فقط... كنت أظن أن مشكلتنا في العالم العربي فريدة، لكن الغرب أيضًا يعاني من إرث ثقافي مليء بالتناقضات.

القس جون: (يبتسم وهو يحرك كوب القهوة أمامه) صدقت. كثيرون يعتقدون أن الغرب تجاوز مشكلاته الفكرية، لكنه في الحقيقة يعيش صراعًا بين التراث الديني والفكر الحديث، بين القيم القديمة والمصالح الجديدة.

عبدالله: وهذا لم يكن صدفة، أليس كذلك؟ تأثير التلاعب بالموروث الديني قديم... هناك يد خفية أعادت تشكيل الفهم الديني ليخدم مصالح معينة.

القس جون: (يتنهد) اليهود لعبوا دورًا أساسيًا في هذا... سواء في تحريف النصوص أو توجيه الفكر الديني لمصالحهم. ستجد في أوروبا أن المسيحية التي بدأت برسالة محبة وسلام، تحولت بفعل التلاعب إلى مؤسسة سياسية واقتصادية.

عبدالله: وهذا انعكس على العالم العربي... لم يكن الاستعمار مجرد احتلال عسكري، بل كان احتلالًا فكريًا أيضًا. أدخلوا إلينا هذا الصراع نفسه، جعلونا نؤمن أن الدين عائق أمام التقدم، بينما مشكلتهم الأساسية كانت في التلاعب بمفاهيمه.

القس جون: صحيح. عندما يتم التلاعب بالدين، يصبح سلاحًا بدل أن يكون طريقًا للهداية... وهذا ما حدث في الغرب، وربما في العالم الإسلامي أيضًا.

عبدالله: (يبتسم بمرارة) إذن، لا فرق كبير... نحن والغرب نعاني من المشكلة ذاتها، لكن بأشكال مختلفة. والآن السؤال: كيف نعيد الأمور إلى نصابها؟ كيف نصل إلى الحقيقة وسط هذا الكم من التزييف؟

القس جون: هذا السؤال الذي يجب أن يبحث عنه كل إنسان صادق...

القس جون: هذا السؤال الذي يجب أن يبحث عنه كل إنسان صادق... لكن المشكلة أن الحقيقة ليست سهلة المنال، خاصة عندما تُصنع الروايات المزيفة حولها لعقود بل لقرون.

عبدالله: (يضع يده على الطاولة ويميل إلى الأمام) لكن لماذا لم يدرك الغرب حجم هذا التلاعب؟ لماذا استمروا في اتباع منظومة فكرية قائمة على إرث مليء بالتناقضات؟

القس جون: لأن من يملك السلطة الفكرية والإعلامية هو من يصوغ الوعي العام. اليهود لم يكتفوا فقط بالتأثير في الموروث الديني، بل امتد نفوذهم إلى الإعلام، الجامعات، والمؤسسات السياسية... وبالتالي، أي محاولة للتشكيك في هذه المنظومة تُواجه بالتهميش أو الاتهام بمعاداة السامية.

عبدالله: (يهز رأسه مستوعباً) إذن، الغرب لم يتحرر كما كنت أظن... لقد انتقل فقط من سلطة الكنيسة إلى سلطة المال والإعلام، والنتيجة واحدة: سيطرة فئة قليلة على فكر الملايين.

القس جون: (يبتسم بحزن) تمامًا، وهذا ما يفسر لماذا نرى ازدواجية المعايير في تعامل الغرب مع القضايا المختلفة. عندما تكون

الحقيقة مزعجة لأصحاب النفوذ، يتم طمسها أو إعادة صياغتها وفقاً لمصالحهم.

عبدالله: (يستند إلى الكرسي ويفكر بصوت عالٍ) وهذا يعيدني إلى مشكلتنا في العالم العربي... كثير من أزماتنا الفكرية لم تأت من فراغ، بل هي نتيجة تراكم طويل من التلاعب والتشويه. لقد جعلونا نرى ديننا إما كعائق أمام التقدم، أو كأداة للقمع، بينما حقيقته مختلفة تماماً.

القس جون: (يضع كوبه جانباً) وها أنت تقترب من جوهر المشكلة... عندما يفقد الإنسان الاتصال بجوهر إيمانه، يصبح من السهل التلاعب به، سواء باسم الدين أو باسم الحداثة.

عبدالله: (بصوت ثابت) إذن، التحدي الحقيقي ليس فقط في كشف التلاعب، بل في إعادة بناء فهم أصيل للدين، بعيداً عن التشويه الذي صنعتته هذه القوى.

القس جون: (ينظر إليه بتأمل) وهذا ما يحتاجه العالم اليوم... ليس صراعاً جديداً، بل عودة صادقة إلى الحقيقة، إلى الفطرة السليمة، بعيداً عن كل ما شوّه على مر العصور.

عبدالله: (ينظر عبر النافذة إلى المطر الذي ما زال ينهمر بهدوء) الرحلة لم تنته إذن... بل ربما بدأت الآن فقط.

بعد هذا الحوار العميق، جلس القس جون في صمت، ينظر إلى عبدالله بتأمل، وكأن كلمات الشاب أيقظت شيئاً داخله لم يكن قد فكر فيه بعمق من قبل. لسنوات، كان يؤمن بأن التناقضات في الفكر الغربي أمر طبيعي، ناتج عن تطور المجتمعات والصراعات الدينية والسياسية، لكنه الآن يرى الأمور من زاوية مختلفة.

بدأت فكرة التلاعب الممنهج بالموروث الديني تتسلل إلى ذهنه، وبدأ يراجع كثيراً مما تعلمه ودرّسه لغيره. لقد قضى حياته يبحث عن الحقيقة في الكتب والمخطوطات، لكنه الآن يدرك أن بعض تلك المصادر نفسها قد تكون خضعت لتحريف متعمد، وأن القصة التي رُسمت لعقله منذ شبابه لم تكن كاملة.

شعر القس بشيء من القلق... ماذا لو كانت بعض المسلمات التي آمن بها ليست سوى روايات مصنوعة لخدمة مصالح معينة؟ ماذا لو كان هناك طريق آخر للفهم لم يمنحه الفرصة للتعمق فيه؟

نظر إلى عبدالله مجدداً، ورأى في عينيه مزيجاً من الحيرة واليقين... ذلك الصراع الداخلي الذي يمر به الباحث عن الحقيقة. أدرك حينها أن هذا الشاب في رحلة بحث صادقة، وربما هو أيضاً بحاجة إلى إعادة النظر في كثير مما ظنه ثابتاً.

القس جون لم يقل شيئاً، لكنه شعر أن هذا الحوار لم يكن مجرد نقاش عابر، بل كان بداية لشيء أعمق في داخله، بداية رحلة جديدة نحو إعادة التفكير بكل ما ظنه غير قابل للتساؤل.

استنتاج :

يكشف هذا الحوار بين عبدالله والقس جون عن حقيقة جوهرية مفادها أن التلاعب بالموروث الديني لم يكن مقتصرًا على العالم الإسلامي، بل امتد أيضاً إلى الفكر الغربي، مما أدى إلى خلق تناقضات داخلية في كلتا الحضارتين. الغرب، الذي يُنظر إليه على أنه تجاوز صراعاته الفكرية، لا يزال يعاني من إرث ثقافي مشوّه، صاغته قوى

ذات نفوذ، خاصة اليهود الذين أعادوا تشكيل المفاهيم الدينية والفكرية بما يخدم مصالحهم السياسية والاقتصادية.

لكن الأثر الأعظم للحوار كان على القس جون، الذي بدأ يشكك في كثير من المسلمات التي تربي عليها، مما يعكس أن الحقيقة ليست مطلقة في يد طرف دون آخر، بل هي رحلة بحث مستمرة. وتاماً كما كان عبدالله يسعى لفهم أصول التشويه في الفكر الإسلامي، وجد القس نفسه يواجه نفس التساؤلات حول تاريخ المسيحية في الغرب.

النتيجة أن المعركة ليست بين الأديان بحد ذاتها، بل بين الحقيقة والتزييف، بين من يسعى للمعرفة وبين من يريد فرض رواية معينة تخدم مصالحه. وما دام الإنسان يطرح الأسئلة، فسيتبقى هناك أمل في كشف الحقائق وإعادة التوازن للعالم.

الفصل الثامن: مواجهة الخوف

أصبح عبدالله أكثر انفتاحاً في النقاشات داخل الجامعة، سواء مع زملائه الإنجليز أو مع الطلاب المسلمين الآخرين. البعض كان يرى فيه شاباً جريئاً، يطرح أسئلة لم يجروا غيره على طرحها، بينما البعض الآخر كان يراه مجرد شاب ضائع يحاول إيجاد مبرر لتمرده.

في أحد الأيام، جاءه صديقه "سامي"، وهو طالب مسلم من أصل عربي، وقال له بابتسامة ودودة:

"عبدالله، هناك محاضرة في المسجد القريب عن "أخطار الغزو الفكري"، أظنك ستجدها مثيرة للاهتمام."

رفع عبدالله حاجبه ساخراً:

"الغزو الفكري؟ هل نحن في معركة؟"

ضحك سامي وربت على كتفه:

"تعال فقط، واستمع، ثم احكم بنفسك."

ذهب عبدالله بدافع الفضول. دخل المسجد وجلس في الصفوف الخلفية، محاولاً أن يكون مجرد مستمع. كانت القاعة ممتلئة بالشباب، وأجواء المحاضرة بدت مألوفة... أكثر مما توقع.

بدأ الشيخ يتحدث بصوت قوي:

"إخواني، إن الغرب الكافر يريد أن يفسد عقيدتنا، أن يزرع فينا الشك، أن يجعلنا نشكك في ثوابت ديننا! يريدون أن نسأل أسئلة لا طائل منها، أن نبتعد عن هويتنا، أن نصبح مثلهم!"

ألقى عبدالله نظرة جانبية على سامي ، الذي كان يهز رأسه تأييداً ، بينما عبدالله كان يقاوم رغبة قوية في التثاؤب. شعر وكأنه عاد إلى قريته ، وكأن هذا الصوت هو صوت إمام المسجد هناك ، يكرر نفس العبارات التي سمعها طيلة طفولته.

بعد انتهاء المحاضرة ، وجد نفسه وسط مجموعة من الشباب الذين بدأوا يناقشون ما قيل. لم يستطع عبدالله أن يبقى صامتاً ، فقال بصوت هادئ لكنه واثق:

"لكن ماذا لو لم يكن الغرب يحاول إفسادنا؟ ماذا لو كانوا فقط يعيشون حياتهم ، ونحن من نعيش في وهم أننا مستهدفون طوال الوقت؟"

ساد صمت لثوانٍ ، قبل أن يرد أحد الحاضرين ، وكان شاباً ملتحيًا ، بعينين تضيقان كلما شعر بالاستفزاز:

"أنت متأثر بالكفار ، يا أخي. قلبك أصبح مريضاً ، يجب أن تعود إلى رشدك."

ضحك عبدالله ، ليس سخرية ، بل استغراباً من التكرار المستمر لهذا الرد كلما طرح سؤالاً مختلفاً. قال بابتسامة خفيفة:

"إذاً أي شخص يسأل ، يكون قلبه مريضاً؟ هل كان الفلاسفة كلهم مرضى؟ هل ابن رشد وابن سينا والغزالي كانوا جميعاً ضائعين؟"

قاطعه الشاب بغضب:

"لا تتفلسف علينا! الفلسفة لا تفيدك يوم الحساب!"

التفت سامي لعبدالله محاولاً تهدئته ، وقال بصوت منخفض:

"عبدالله ، أعتقد أن هذا ليس المكان المناسب لهذه الأسئلة."

أخذ عبدالله نفساً عميقاً، ثم ابتسم، وكأنه أدرك شيئاً للتو. لم يكن الغضب هو الحل، ولم يكن الجدل هنا سيفيد أحداً. نظر إلى سامي وقال:

"أنت محق. هذا ليس المكان المناسب، ولا الزمان المناسب." غادر المسجد، لكن في داخله لم يغادر النقاش. أدرك أن الخوف من التفكير ليس مجرد مشكلة في قريته، بل هو مرض متفشٍ في كل مكان. المشكلة ليست في الدين ذاته، بل في العقول التي ترفض التفكير، التي ترى أي تساؤل تهديداً، بدلاً من أن تراه خطوة نحو الفهم الحقيقي. في تلك الليلة، جلس في غرفته، وأخذ دفتر ملاحظاته، وكتب في أعلاه:

"مواجهة الخوف."

كان عبدالله يشعر بأن هذا العنوان كان يعبر عن حالته تماماً. لا يتعلق الأمر بالخوف من العالم الخارجي، بل من الخوف الداخلي، الخوف الذي زرعه في عقول الناس منذ الصغر. كان يخشى أن يعتقد الجميع أنه مجرد شاب ضائع، بل كان يخشى أكثر من أن يكتشف هو نفسه أنه كذلك.

بينما كان يكتب، تذكر حديثه مع سامي وكيف كان الشاب الملتحي قد رد عليه. لم يستطع إلا أن يشعر بشيء من الغضب على العقلية التي تتجاهل الحقائق من أجل الحفاظ على الراحة النفسية. كان يشعر أنه بحاجة للمزيد من المعرفة، مزيد من الفهم، وأن هذا السكون الفكري الذي يعيشه بعض الناس هو أكبر مصدر للضرر.

كتب في دفتره: "الخوف من الفكر هو أكبر عدو للحرية. كلما ابتعدنا عن الأسئلة، كلما ابتعدنا عن الحقيقة."

وفي تلك اللحظة، قرر أن الطريق أمامه لا يزال طويلاً، وأنه لن يستطيع التراجع. لا يمكنه أن يظل في دائرة الخوف تلك، وأن يتخلى عن كل ما اكتشفه حتى الآن. بل كان عليه أن يسير قدماً، أن يواجه الخوف بكل أشكاله، ويبحث عن الحقيقة رغم العقبات.

كانت تلك اللحظة نقطة تحول في فكر عبدالله، لحظة أدرك فيها أنه ليس مجرد طالب جامعي يبحث عن أفكار جديدة، بل إنه كان يخوض معركة حقيقية مع أفكار قديمة، مع أفكار تسببت في تحجيم عقله وطاقته. كان يجب عليه أن يواجه كل تلك الأسئلة التي طالما خاف منها، ويعترف أنها ليست تهديداً، بل فرصة للنمو الشخصي.

في صباح اليوم التالي، شعر عبدالله بشيء مختلف. كان هناك شعور بالوضوح، كما لو أن ضباباً كثيفاً قد انقشع عن عقله. كان يعرف الآن أنه لا يمكنه الاستمرار في العيش في هذا الفراغ الفكري، وأن عليه أن يبحث أعمق، أن يواجه أكثر، أن يتحدى كل الأفكار التي فرضت عليه دون أن يسأل.

بينما كان يتناول فطوره في المقهى الجامعي، كان يراقب الطلاب حوله. كانوا يتحدثون في مواضيع متنوعة، بعضها غريب، وبعضها سطحي. لكن عبدالله شعر بشيء غريب، كأنه كان يتعامل مع أفكار سطحية في محيطه. كانت عقولهم مشغولة بالأشياء اليومية، بعالم يتجاهل الأسئلة الكبرى، وعالم لا يريد أن يواجه ما يخشاه.

بينما هو غارق في أفكاره، اقترب منه زميله البريطاني "جيمس"، الذي كان يعرفه منذ بداية دراسته في الجامعة. كان جيمس شاباً مرحاً ومتفائلاً، ولكن عينيه كانتا تحملان شيئاً من الفضول. "عبدالله، هل ما زلت في حالة الشك هذه؟" سأل جيمس وهو يتسّم.

نظر إليه عبدالله للحظة، ثم أجاب بصوت هادئ: "نعم، ولكن الشك ليس عدواً. بل هو بداية الطريق." "أعتقد أنك تخوض معركة مع نفسك أكثر من أي شيء آخر، أليس كذلك؟" قال جيمس، وقد أظهر نوعاً من الفهم العميق رغم بساطته. عبدالله أوماً برأسه وقال: "نعم، ولكنني بدأت أرى الأمور بشكل مختلف. ليس كل شيء كما يبدو. وليس كل إجابة موجودة في الكتب القديمة أو التقاليد المتوارثة. ربما يجب أن نكون أكثر مرونة في تفكيرنا."

ابتسم جيمس وقال: "أنا أحب هذا النوع من التفكير، ولكن هل تظن أنك ستجد الإجابة في النهاية؟" نظر عبدالله إلى كوبه وأجاب بعد صمت طويل: "ربما لا يوجد جواب واحد، جيمس. ربما هي رحلة مستمرة. لكنني أعرف شيئاً واحداً: لن أترك الأسئلة التي تراودني تمر دون محاولة للبحث عنها." بينما كانوا يتحدثون، شعر عبدالله بشيء غريب يزداد بداخل قلبه، إحساس بالسلام الداخلي رغم فوضى الأفكار التي كانت تدور في عقله. كان يشعر أنه يسير في الطريق الصحيح، لا يهم كم سيكون طويلاً، ولا كم سيواجهه من صعوبات. "لماذا نخاف من الأسئلة؟"

شعر بأن هذا السؤال ، على بساطته ، قد يكون بداية رحلة جديدة... رحلة لفهم ما وراء هذا الخوف.

"لماذا نخاف من الأسئلة؟" تساءل عبدالله بصوت منخفض ، بينما كان عقله يعيد تكرار السؤال مراراً. كان يدرك أن هذا السؤال ليس مجرد تساؤل بسيط ، بل هو المفتاح لفتح أبواب عديدة كانت مغلقة في حياته.

أحس بأن هناك شيئاً ما في المجتمع ، في التقاليد ، في الطريقة التي نشأ فيها ، يمنع الناس من التفكير بعمق. كانوا يتعلمون أن الأسئلة هي خطر ، وأن الشك هو عدو الإيمان واليقين. "لكن هل فعلاً كل سؤال هو تهديد؟" فكر عبدالله ، بينما تتساقط الأفكار كحبات المطر في عقله.

وفي تلك اللحظة ، شعر بشيء غريب يتحرك داخله ، كما لو أن قيداً فك ارتباطه ، وكأن عقله أصبح أكثر تحراً. لماذا كانت الأسئلة دائماً مرتبطة بالخوف؟ هل كان الأمر متعلقاً بالخوف من التغيير ، من اكتشاف شيء قد لا يتناسب مع المعتقدات الراسخة؟ أم كان هناك شيء أعمق ، شيء يربط الإنسان بحاجته للراحة والاطمئنان ، حتى لو كان ذلك على حساب الحقيقة؟

"لا بد أن هناك إجابة" ، قال عبدالله لنفسه ، بينما شعر بشجاعة جديدة تنبثق من أعماقه. "إذا كان الخوف من الأسئلة هو ما يعوقنا ، فإن مهمتي الآن هي أن أسأل ، أن أبحث ، أن أستمّر في السعي ، حتى لو كانت الإجابات غير واضحة بعد."

كان يعلم أن رحلته لم تكن مجرد بحث عن إجابات دينية أو فلسفية ، بل كانت رحلة لاكتشاف ذاته ، لكسر الحدود التي وضعها

المجتمع حوله. وكل سؤال كان يزيده إصراراً، وكل إجابة ناقصة كانت تدفعه للبحث أكثر.

"لا بد أن تكون هناك طريقة لفهم العالم من حولنا بطريقة أعمق، طريقة لا تقتصر على الاجترار، بل تفتح لنا أبواباً جديدة" فكر، وهو يشعر بشيء لم يشعر به من قبل: شعور بالحيوية والحماسة لمواجهة المستقبل.

جلس عبدالله في غرفته متأملاً، والدفتري مفتوح أمامه، يراقب يديه وهما تكتب ببطء: "ربما الأسئلة هي التي تقودنا إلى الحقيقة، وليس الجواب السهل أو المريح. ربما تكون الأسئلة هي الطريق الوحيد إلى الحرية الفكرية."

كانت الكلمات التي كتبها على الصفحة تبدو وكأنها تحفة صغيرة من التفكير العميق، شيئاً يعبر عن تحول داخلي لم يكن يعترف به من قبل. لقد بدأ يشعر بأن الأسئلة نفسها ليست فقط مفتاحاً للبحث عن الحقيقة، بل هي نفسها جزء من الحقيقة.

أخذ نفساً عميقاً وأغمض عينيه للحظة. في هذا الفضاء الهادئ، شعر وكأن عقله قد بدأ يتسع لآفاق جديدة. كل شيء كان مختلفاً. الطريق الذي كان يسلكه لم يعد مجرد طريق للنقاشات السطحية، بل أصبح مساراً نحو شيء أكبر، نحو فهم أعمق للحياة والدين والإنسان.

فجأة، شعر ببرودة الهواء الخارج من النافذة، فنظر نحو السماء التي كانت تتناثر عليها نجوم الليل، فتذكر لحظة بسيطة من طفولته في قريته حين كان يراقب السماء نفسها ويتساءل: "هل نحن وحدنا في هذا الكون؟ وهل هناك حقاً إجابة واحدة لكل سؤال؟"

أجاب نفسه بتردد: "ربما لا. ربما الأسئلة نفسها هي التي تجعلنا نعيش."

ثم انتبه إلى فكرة جديدة كانت تطرأ عليه: ربما الحياة ليست عن إيجاد الإجابات الصحيحة فقط، بل عن الاستمرار في البحث والتساؤل، حتى عندما تكون الإجابات غامضة أو غير كاملة.

في تلك اللحظة، شعر عبدالله وكأن شيئاً عميقاً قد تغير داخله. لم يكن يشعر بالخوف بعد الآن من الأسئلة التي يطرحها، ولا من الأفكار التي كان يكتشفها. أدرك أن البحث عن الحقيقة ليس مساراً مستقيماً أو سهلاً، بل هو رحلة مليئة بالشكوك والتحديات، ولكنها أيضاً مليئة بالاكتشافات والتطورات التي تصنع من الإنسان شخصاً أكثر نضجاً وعمقاً.

ابتسم ببطء وهو يغلق دفتر ملاحظاته، وهو يدرك أن رحلته لم تنته بعد، بل هي في الحقيقة بدأت للتو. ربما لا توجد إجابات نهائية، لكن الأسئلة التي يطرحها هي التي ستجعله أقرب إلى فهم أعمق لنفسه وللعالم من حوله.

وفي تلك الليلة، بينما استمر المطر في تساقطه بهدوء خارج نافذته، شعر بسلام داخلي غير مسبوق. قد تكون الأسئلة التي يحملها ثقيلة، وقد يظل الطريق مظلماً أحياناً، لكن شعوره بأنه يسير في طريقه الخاص كان أكبر من أي شك أو خوف.

ونام وهو يعلم أن الصراع الداخلي الذي يخوضه، رغم كل صعوباته، هو ما سيقوده في النهاية إلى فهم أعمق لجوهر الحياة.

لحظة المواجهة في قاعة المحاضرات

في أحد الأيام، وبينما كان عبدالله يحضر محاضرة في الجامعة، كان النقاش يدور حول اختلاف الأديان وتأثيرها في المجتمعات. كان الدكتور الذي يدير المحاضرة شخصية ذات خلفية صهيونية واضحة، وكانت وجهته تنطلق من موقف متحيز، حيث حاول تصوير بعض الأديان، خاصة الإسلام، على أنها عقبات أمام الحداثة والتقدم.

جلس عبدالله بهدوء في مقعده، يستمع إلى النقاش المحتدم بين الطلاب، لكنه شعر أن هناك تحيزاً واضحاً في كلام الأستاذ. وعندما سنحت له الفرصة، رفع يده وقال بنبوة هادئة لكنها واثقة:

"دكتور، مع احترامي، لكن حديثك يبدو وكأنه يختزل الدين الإسلامي في صورة نمطية معينة، متجاهلاً تأثيره الحضاري والإنساني على العالم. كيف يمكنك الحديث عن التقدم وأنت تتجاهل العدل في الطرح؟"

ارتفع صوت الهمهمة بين الطلاب، وبدأ بعضهم ينظر إلى عبدالله باهتمام، بينما أبدى آخرون موافقتهم بصمت. بدا على البروفسور الامتناع، لكنه حاول أن يحافظ على هدوئه.

"سيد عبدالله، نحن هنا نتحدث من منظور أكاديمي، وليس من منظور عاطفي. الواقع يقول إن هناك أدياناً تقبل الحداثة، وأخرى تظل عالقة في الماضي."

ابتسم عبدالله ابتسامة خفيفة، ثم رد بثقة:

"إذا كان حديثنا أكاديمياً، فلماذا لا ننظر إلى الحقائق بدلاً من التعميمات؟ الإسلام لم يكن يوماً حاجزاً أمام العلم، بل كان جزءاً من

نهضته. المشكلة ليست في الدين بحد ذاته، بل في الأيديولوجيات التي تحاول تحريف معناه."

اشتد النقاش بينه وبين الأستاذ، وتحول إلى مواجهة فكرية أمام الجميع. بدا واضحاً أن البروفسور لم يكن سعيداً بموقف عبدالله، بل بدأ يتحامل عليه، محاولاً إحراجه أمام الطلاب. لكن بدلاً من أن يفقد عبدالله أعصابه، ظل ثابتاً في نقاشه، معتمداً على الأدلة والمنطق.

المحاولة الفاشلة لفصله من الجامعة

بعد انتهاء المحاضرة، بدأ عبدالله يسمع شائعات بأن البروفسور يحاول استغلال نفوذه للتأثير على إدارة الجامعة بهدف معاقبته أو حتى فصله. لم يكن هذا بالأمر الغريب، فالصراعات الفكرية كانت دائماً تحمل معها ثمناً باهظاً.

لكنه لم يكن وحيداً. تفاجأ عبدالله حين وجد أن العديد من زملائه في الصف، بمن فيهم الطلاب الإنجليز والمسيحيون، وقفوا بجانبه. شعر بدعم غير متوقع من أشخاص لم يكن يعتقد أنهم سيكترثون بالأمر.

أحد الطلاب البريطانيين، ويدعى جوناثان، اقترب منه وقال بحزم: "لا تقلق، عبدالله. قد نختلف في بعض الأمور، لكن ما حدث كان ظلماً واضحاً. لن نسمح له بإسكاتك بهذه الطريقة."

وأضاف طالب آخر، وهو مسيحي متدين يُدعى مارك: "قد لا نؤمن بنفس ما تؤمن به، لكننا نحترم موقفك وأسلوبك في النقاش. من حقك أن تعبر عن رأيك، كما أن من حقنا جميعاً أن نحظى بنقاش عادل."

كانت كلماتهم تحمل صدقاً لم يكن يتوقعه. هنا، في هذا المكان البعيد عن وطنه، أدرك عبدالله أن العدل لا يُعرف بالدين أو العرق، بل بالمبادئ والأخلاق.

أثر التجربة على عبدالله

تلك اللحظة تركت أثراً عميقاً في داخله. لقد كان يعتقد أن الصراع الفكري سيضعه دائماً في مواجهة مع الآخر، لكنه أدرك أن الحقيقة ليست بهذه البساطة. أحياناً، عندما تكون منصفاً ومحترماً في حوارك، ستجد الدعم من أماكن لم تتوقعها. حين عاد إلى غرفته في تلك الليلة، فكر كثيراً في هذا الموقف. كتب في دفتر ملاحظاته:

"ليس كل من يختلف معي هو عدوي، وليس كل من يشاركني ديني هو حليفي. المبادئ وحدها هي التي تفرز الحق من الباطل. والحق سيجد دائماً من يدافع عنه، حتى من غير أهله."

ابتسم وهو يضع قلمه جانباً. شعر وكأنه قطع شوطاً جديداً في رحلته. لم يعد مجرد باحث عن الحقيقة، بل أصبح مدافعاً عنها، ليس بالصوت العالي، ولكن بالثبات والمنطق والأخلاق.

وفي تلك الليلة، نام عبدالله وهو يشعر بسلام داخلي جديد... فالمعركة الفكرية لم تكن كما تخيلها، بل كانت طريقاً لفهم أكثر عمقاً للإنسانية.

الفصل التاسع: البحث عن الحقيقة

جلس عبدالله في غرفته، بينما كان ضوء الفجر يتسلل عبر النافذة، كأنه يكشف عن بداية جديدة في حياته. لم يكن عبدالله هو نفسه ذلك الشاب الذي بدأ رحلته محملاً بالشكوك والتساؤلات، لقد تغير... نضج فكره، واتضحت رؤيته، وأصبح أكثر وعياً بجوهر الصراع الذي طالما حاصره.

لم يكن بحثه مجرد رحلة فكرية، بل كان رحلة داخل ذاته، رحلة مواجهة مع الموروثات، والتناقضات، والتأثيرات التي شكّلت وعيه. أدرك أن الحقيقة ليست مجرد إجابات جاهزة أو مسلّمات يُفرض عليه الإيمان بها، بل هي بحث مستمر، وغريزة لكل ما يُقال، ومقارنة بين المنطق والعقيدة والتاريخ.

بدأ يفهم أن الموروث الديني، سواء في الإسلام أو في الفكر الغربي، لم يكن نقياً كما ظنه البعض، بل كان ميداناً لصراعات سياسية وفكرية، ولعبت فيه القوى المتنفذة دوراً في تحريفه أو استغلاله لخدمة مصالحها. لم يكن الأمر مقتصرًا على المسلمين وحدهم، بل حتى الغرب عاش تناقضات دينية وفكرية بسبب هذا التلاعب.

لكن ما توصل إليه عبدالله في النهاية لم يكن مجرد اكتشاف لحجم التزييف، بل كان إدراكاً لضرورة العودة إلى الجوهر الحقيقي للدين، بعيداً عن التحريفات التي صنعها التاريخ والسياسة. الإسلام لم يكن كما صُوِّر له في طفولته، ولم يكن كما أرادت بعض القوى أن تزرع في

أذهان الناس... بل كان ديناً يعيد الإنسان إلى فطرته، ويدعو للبحث والتفكير لا للجمود والتلقين.

استنتج أن المعركة الحقيقية ليست بين الأديان أو الحضارات، بل بين الحقيقة والتزييف، بين من يسعى لفهم الدين كمنهج للحياة، وبين من يريد استغلاله كأداة للسيطرة. وها هو الآن، بعد هذه الرحلة الطويلة، أصبح أكثر يقيناً بأن الحقيقة ليست في الشعارات، بل في الفهم العميق، والتدبر، والبحث المستمر.

وقف عبدالله أمام النافذة، استنشق الهواء البارد، وشعر وكأنه يرى العالم بعيون جديدة. ربما لم يجد كل الإجابات، لكنه أدرك الآن كيف يبحث عنها... والبحث عن الحقيقة، في حد ذاته، هو أول الطريق إلى اليقين.

عبدالله لم يعد ذلك الشاب الذي كان يخشى مواجهة الأسئلة الصعبة أو التعمق في المسائل التي تجنبها الكثيرون. لقد أدرك أن الخوف من السؤال هو أول عقبة أمام الوصول إلى الحقيقة، وأن اليقين لا يأتي من التسليم الأعمى، بل من البحث والتفكير والمقارنة بين الروايات المختلفة.

في رحلته، لم يكن مجرد متلق للأفكار، بل كان ناقداً، محللاً، مستكشفاً. رأى كيف أن القوى الكبرى، سواء في الشرق أو الغرب، سعت إلى السيطرة على العقول من خلال تشكيل وعي مزيف حول الدين والتاريخ والسياسة. رأى كيف أن اليهود لعبوا دوراً رئيسياً في إعادة صياغة المفاهيم الدينية والفكرية في كلتا الثقافتين، وكيف أن هذا التلاعب لم يكن مجرد نظريات، بل حقائق ملموسة أثرت على المجتمعات لقرون.

لكنه في ذات الوقت ، رفض أن يكون أسير نظرية المؤامرة فقط. أدرك أن هناك مسؤولية تقع على عاتق الشعوب نفسها، فلو لم تكن هناك قابلية للاستسلام، لما نجح التزييف في اختراق العقول بهذا الشكل العميق. المشكلة لم تكن فقط في المتآمرين، بل في ضعف الوعي، في الجهل، في التسليم دون تمحيص.

إذن، ماذا بعد؟

طرح عبدالله هذا السؤال على نفسه وهو يفكر في مستقبله بعد هذه الرحلة الفكرية الطويلة. هل يكتفي بما عرفه؟ هل يبقى مجرد باحث في الظل، أم أن عليه واجب نقل ما تعلمه، ومساعدة الآخرين في رؤية ما رآه؟

كان يعلم أن طريق الحقيقة ليس سهلاً، وأن من يسبح ضد التيار دائماً ما يُتهم بالجنون أو الزندقة أو الخروج عن المألوف. لكن ما الفائدة من الحياة إن لم تكن رحلة مستمرة نحو معرفة أعمق؟ عبدالله لم يعد باحثاً عن الحقيقة فقط... بل أصبح مستعداً لتحمل مسؤوليتها.

لم يكن عبدالله يتوقع أن يأخذه بحثه إلى هذا العمق. في البداية، كان يعتقد أن اليهودية أثرت فقط على المسيحية، ولكن مع مرور الوقت، بدأ يلاحظ خيوطاً غير مرئية تمتد إلى الإسلام أيضاً. كانت هناك مرويَات وتفسيرات دخلت إلى الفكر الإسلامي وأصبحت جزءاً من التراث، دون أن يكون لها أساس قوي في النصوص الأصلية.



عبد الله يجلس مع سامي ومايكل في الجامعة مندمجين في نقاش فكري عميق
يعكس التنوع الثقافي والبحث عن الحقيقة

جلس ذات مساء في المكتبة، محاطاً بأكوام الكتب، وعيناه تتنقلان
بين صفحاتها بشغف. أمامه كان كتاب يتحدث عن "الإسرائيليات في
التفسير الإسلامية"، وعلى يساره كتاب آخر يناقش "التأثير اليهودي في
الفكر الديني".

همس لنفسه وهو يقلب إحدى الصفحات:

"يا إلهي... كم من الأشياء التي أخذناها كمسلمات دون أن نتحقق منها؟"

لكنه لم يكن متأكدًا: هل هذه الاكتشافات مجرد مصادفات؟ أم أن هناك نمطًا حقيقيًا يجب أن ينتبه إليه؟

في أحد الأيام، كان عبدالله يجلس مع صديقه الإنجليزي "مايكل" في مقهى الجامعة، يتحدثان عن اختلاف الأديان. كان مايكل يدرس الفلسفة ولديه شغف بالتاريخ الديني، مما جعله شخصًا مثاليًا للنقاشات العميقة.

قال مايكل وهو يحتسي قهوته:

"إذا فكرت بالأمر، ستجد أن معظم الأديان تتأثر ببعضها البعض. خذ المسيحية مثلًا، الكثير من تعاليمها جاءت مباشرة من اليهودية."

ابتسم عبدالله وهز رأسه:

"هذا ما بدأت ألاحظه... لكن الصادم هو أن الإسلام أيضًا قد تأثر ببعض الأفكار اليهودية، وليس فقط المسيحية."

رفع مايكل حاجبه باهتمام:

"حقًا؟ مثل ماذا؟"

أخذ عبدالله نفسًا عميقًا ثم قال بصوت منخفض وكأنه يخشى أن يسمعه أحد:

"بعض القصص التي نسمعها منذ الصغر، عن تفاصيل حياة الأنبياء أو عن بعض الأحكام، مصدرها ليس القرآن أو السنة، بل روايات دخلت لاحقًا عبر أشخاص كانوا يهودًا ثم أسلموا." نظر مايكل إليه باندھاش قبل أن يبتسم ساخرًا:

"يا رجل، أنت تحفر في منطقة حساسة جداً، كن حذراً، قد ينتهي بك الأمر كأحد الفلاسفة الذين تم نفيهم من مجتمعاتهم!"

ضحك عبدالله وهز رأسه:

"لا تقلق، لن أعلن عن اكتشافاتي في ساحة عامة، على الأقل ليس بعد!"

لكن الحقيقة كانت أنه بدأ يشعر بالعزلة. كان يعلم أن مجرد طرح هذه التساؤلات قد يجعله منبوذاً، ليس فقط في قريته، بل حتى بين المسلمين الذين التقى بهم في بريطانيا. البعض كان يرى أن أي حديث عن تأثير اليهودية على الإسلام هو محاولة للطعن في الدين نفسه، بينما آخرون كانوا يخشون الدخول في هذه المواضيع لأنها قد تفتح أبواباً يصعب إغلاقها.

في إحدى الأمسيات، وبينما كان جالساً في غرفته يتأمل ما وصل إليه، خطر بباله سؤال مهم:

"إذا كنت قد وصلت إلى هذه الأفكار بمفردي، فكم من الناس توصلوا إلى الشيء نفسه ولكنهم فضلوا الصمت؟"

شعر أن الله قد هياأ له هذه الرحلة لسبب ما، ربما ليجعله يواجه الحقيقة بنفسه، أو ليزرع فيه مسؤولية لم يكن يتوقعها. ربما، في المستقبل، سيكون عليه أن يؤسس مركزاً للدراسات، مكاناً يجمع فيه الباحثين الأحرار الذين لا يخشون البحث عن الحقيقة، مهما كانت غير مريحة.

ابتسم وهو يكتب في دفتر ملاحظاته:

"البحث عن الحقيقة ليس خطراً، الخطر هو في الخوف من البحث."

في تلك اللحظة، شعر عبدالله بشيء من السكينة يغمره، وكأن اكتشافه للحقائق المخفية قد أعطاه قوة جديدة. كان يعلم أن الطريق الذي يسلكه ليس سهلاً، وأنه سيواجه تحديات أكبر مما كان يتصور، لكن الفكرة التي تولدت في ذهنه كانت واضحة. كان البحث عن الحقيقة لا يعني التمسك باليقين المطلق، بل يعني التفكيك الجريء للمفاهيم الموروثة، ومساءلة كل ما يُعتقد أنه مسلم به.

جلس على مكتبه، وتناول قلاده من الخيط كان قد أهداها له والده منذ سنوات. نظر إليها للحظة، ثم وضعها جانباً. لم يعد يخشى من طرح الأسئلة التي كان يعتبرها قدسية، ولم يعد يشعر بالقلق من الوقوع في فخ التقاليد التي لا تستند إلى أية دراسة أو تدبر.

شعر باندفاع داخلي أكبر من أي وقت مضى، وكأن شيئاً كان يثبته على المسار الصحيح. لقد دخل إلى منطقة مجهولة، حيث الحقائق ليست مستورة وراء الأيديولوجيات، بل في التأمل العميق والتفكير النقدي. كان يعلم أنه إذا استمر في هذا الطريق، فقد يغير فهمه للعالم بشكل جذري، وربما حتى فهم الآخرين حوله.

في تلك الليلة، بينما كان يتأمل في خبايا فكرته، شعر وكأن كل شيء في حياته كان يسير نحو لحظة تحول كبيرة. ربما يكون قد اكتشف نقطة البداية، ولكن الطريق طويل ومليء بالتحديات. لكنه كان مستعداً للمضي قدماً، وكتابة هذا الفصل من حياته بنفسه، بعيداً عن الخوف، مع إيمانه أن البحث عن الحقيقة ليس مجرد واجب فردي، بل مسؤولية قد تكون مفتاحاً لبناء فهم أعمق وأكثر تسامحاً بين الناس.

بينما كان عبدالله يجلس في غرفته، يكتب في دفتره، شعر بشيء مختلف عن أي وقت مضى. كان الضوء الخافت من المصباح الوحيد

في الزاوية يلقي بظلاله على الجدران، والأفكار تتنقل بسرعة في ذهنه. شعر بأنه أصبح شخصاً آخر، ليس فقط بسبب الأفكار الجديدة التي بدأ في اكتشافها، بل بسبب التغيير الذي بدأ في داخله. لكنه كان يعلم أن هذا التغيير قد لا يكون سهلاً، وأن الطريق أمامه سيظل محفوفاً بالتحديات.

في تلك اللحظة، رن هاتفه. كانت مارغريت، صديقتها البريطانية، تتصل.

"مرحباً، عبدالله. كيف حالك؟ هل ما زلت غارقاً في الكتب؟" ابتسم عبدالله رغم مشاعره المتشابكة، ورد بنبرة هادئة: "نعم، لا أستطيع التوقف. هناك الكثير من الأسئلة التي تراودني، وأشعر أنني بدأت أكتشف أشياء جديدة عن نفسي، وعن العالم." سككت مارغريت لحظة، وكأنها تفكر فيما قاله. ثم سألت بصوت أقل توتراً: "ما الذي اكتشفته؟"

تنهد عبدالله، وأغمض عينيه للحظة قبل أن يجيب: "لقد اكتشفت أنني لا أستطيع الاستمرار في العيش كما لو أنني أؤمن بكل شيء كما كان يُقال لي. كل شيء في حياتي كان مبنياً على أفكار قديمة، ربما لم تكن صحيحة، ولكنني لم أسأل عنها أبداً."

سككت مارغريت، كأنها تراقب تغيرات حديثه، ثم قالت بلطف: "أنت حقاً تغيرت، عبدالله. ولكن، هل أنت مستعد لمواجهة هذه التغيرات؟ لأن هذا الطريق ليس سهلاً. قد تضطر إلى مواجهة الكثير من الصراعات الداخلية والخارجية."

أجاب عبدالله بعد تفكير: "أعلم، وأنا مستعد. أعلم أنني قد أكون وحيداً في بعض الأحيان في هذا البحث، لكنني لا أستطيع التوقف الآن. الحقيقة تستحق أن تُبحث."

شعر بأن مشاعر متناقضة تنتقل في قلبه. كان الخوف من الرفض والنبذ من قبل الناس من حوله يقض مضجعه، ولكنه في نفس الوقت كان يشعر بشعور غريب من الراحة. كان هناك نوع من التحرر في قلبه، وكأن عبئاً ثقيلاً قد انزاح عنه. لأول مرة، شعر أنه يتنفس بحرية. ولكن كانت هناك أيضاً تساؤلات عميقة: هل سيتقبل الناس هذا التغيير؟ هل سيبقى مكانه في مجتمع يتسم بالتقاليد؟ هل سيفهمه الآخرون، أم سيعتبرونه مجرد شاب ضائع في أفكار غير ثابتة؟

لكن في تلك اللحظة، شعر بشيء آخر. شعور باليقين، بأن رحلة البحث عن الحقيقة لا تعني البحث عن جواب واحد فقط، بل عن الفهم المتجدد والمستمر. وعندما تغلب على المخاوف، لن تكون هناك إجابات قاطعة بل فقط تساؤلات تفتح أبواباً جديدة.

نظر إلى هاتفه، وأرسل رسالة نصية إلى مايكل: "شكراً على كل النقاشات السابقة. لا أستطيع التوقف عن التفكير في ما تعلمته، وأعتقد أنني على وشك أن أكتشف شيئاً أكبر."

ثم أخذ نفساً عميقاً، وأغلق دفتره. اليوم، كان يوماً مختلفاً. أغلق عبدالله دفتر ملاحظاته وأخذ نفساً عميقاً، يختبر هذا الشعور الجديد، شعور البحث المستمر. شعر وكأن الأفكار التي كانت تدور في رأسه طوال الأسابيع الماضية بدأت أخيراً في ترتيب نفسها بشكل أفضل. لكنه أيضاً شعر بشيء آخر، شيء غير مريح، لكن لا مفر منه: العزلة.

جلس على حافة سريريه، ينظر إلى النافذة المفتوحة حيث الهواء البارد يملأ الغرفة. فكر في الوقت الذي أمضاه في البحث عن الحقيقة، في الكتب التي قرأها، في النقاشات التي خاضها. وتساءل: هل كان كل هذا فعلاً يستحق العناء؟

في تلك اللحظة، رن الهاتف مجدداً، وهذه المرة كان سامي، صديقه الذي لم يكن يعلم مدى تأثير الأفكار التي يتداولها في ذهنه. "عبدالله، سمعت أنك بدأت تطرح أسئلة جريئة جداً في الفترة الأخيرة"، قال سامي بنبرة لا تخلو من القلق.

ابتسم عبدالله بابتسامة خفيفة، وكأنما يتقبل حقيقة أنه لا يمكن الهروب من واقع أن أفكاره كانت تسبب القلق للآخرين. "نعم، بدأت أسأل أسئلة لا أستطيع تجاهلها، وأشعر أنها تفتح لي أبواباً جديدة في الفهم"، أجاب بصوت هادئ.

سامي صمت للحظة، وكأنما يفكر في الكلمات التي سيقولها. ثم قال بحذر: "أنت تعلم يا عبدالله أن بعض الأسئلة قد تزعج الكثير من الناس. في قريتنا، وأحياناً حتى هنا، بعض الأفكار التي تتناولها قد لا تجد قبولاً".

أجاب عبدالله، وهو ينهض من مكانه ويقف أمام المرأة: "أعلم ذلك، ولكن ما الخيار الآخر؟ أن أظل أعيش في الظلام؟ كيف أستطيع أن أقتنع بما ليس لدي يقين حوله؟ هذا ليس مجرد فضول، هذا بحث عن الحقيقة".

"لكن الحقيقة قد تكون قاسية، يا صديقي. قد تغير الكثير من الأشياء في حياتك"، قال سامي، موجهاً كلمات توحى ببعض التحذير.

ابتسم عبدالله من جديد، وهو يشعر بشيء يشبه القوة تغمره: "ربما، لكنني أصبحت أخشى أكثر من العيش في الجهل. الحقيقة لا تعني أنني سأجد جواباً واحداً لكل شيء، لكنني على الأقل سأكون قادراً على العيش بسلام مع نفسي."

كانت كلمات سامي تحمل في طياتها الكثير من القلق، لكنه أيضاً كان يعرف أن عبدالله أصبح في مرحلة لم يعد فيها مجرد شاب يبحث عن إجابات سريعة، بل شخصاً ينقلب داخلياً بحثاً عن الحقيقة في أكثر أبعادها تعقيداً. وعندما أغلق الهاتف، شعر عبدالله بشيء غريب، شعور بالنضوج.

"ربما تكون هذه هي الرحلة الحقيقية"، قال لنفسه وهو يعود للجلوس أمام مكتبه، ينظر إلى الكتب التي لا تنتهي. "بحثٌ لا يتوقف عن الأسئلة... وأسئلة لا تنتهي إلا بمزيد من الفهم."

وفي تلك اللحظة، شعر بشيء ما في داخله. كانت هذه اللحظة هي بداية الطريق الحقيقي، الطريق الذي لا يعد بالأجوبة، بل بتوسيع الفهم.

في تلك الليلة، وبينما كان عبدالله يغلق كتابه الأخير ويطفئ المصباح بجانبه، شعر بشيء لم يكن يتوقعه: الراحة. لم تكن راحة الإجابة أو الحل، بل راحة السؤال ذاته. السؤال الذي قاده إلى رحلة من الشكوك والتحديات، لكنه أيضاً فتح أمامه أبواباً من الفهم العميق، الذي لم يكن يعرف أنه بحاجة إليه.

عندما نظر إلى الغرفة المظلمة من حوله، أدرك أن الحقيقة ليست دائماً كما تصورها. إنها ليست مجموعة من المعلومات الجافة التي

يمكن حفظها أو قبولها، بل هي عملية مستمرة من البحث والتساؤل، والتسامح مع الجهل في بعض الأحيان.

"البحث عن الحقيقة ليس مجرد وصول إلى إجابة واحدة، بل هو مسار طويل لا يتوقف، وأحياناً لا يصل إلا إلى مزيد من الأسئلة"، همس عبدالله لنفسه.

بينما غرق في أفكاره، شعر بشيء من التحرر. كانت الأسئلة التي بدأ بها رحلته مجرد نقطة انطلاق، ولكن الآن، هو في مكان مختلف. ربما لن يكون لديه دائماً جميع الإجابات، لكن الأهم أنه تعلم أن يطرح الأسئلة بشجاعة، أن يقاوم الخوف من الحقيقة، وأن يسير في طريقه الخاص.

وهكذا، في تلك اللحظة، أدرك عبدالله أن بحثه عن الحقيقة لم ينتهِ بعد، ولكنه بدأ للتو.

الفصل العاشر: بين الشرق والغرب

كانت عقارب الساعة تشير إلى الواحدة بعد منتصف الليل ، والمدينة لا تزال نابضة بالحياة. جلس عبدالله في شقته الصغيرة ، وأمامه كوب شاي بارد لم يتذكر حتى متى صنعه. كانت الغرفة مضاءة بضوء خافت من المصباح المجاور للسرير ، بينما هو غارق بين الكتب والملاحظات التي ملأ بها دفاتره خلال الأشهر الماضية.

أغلق الكتاب الذي كان بين يديه ، ثم تنهد وهو ينظر إلى السقف. أدرك أنه لم يعد نفس الشخص الذي وطأت قدماء هذه البلاد قبل عامين. لم يعد ذلك الفتى البسيط القادم من قرية صغيرة ، المقتنع بأن العالم ينقسم إلى "نحن" و"هم". الآن ، أصبح إنسانًا تائهًا بين عالمين ، لا ينتمي تمامًا إلى أيٍّ منهما.

كان عبدالله يجلس في مقهى صغير في لندن ، يحتسي كوبًا من القهوة بينما ينظر إلى صديقه مايكل ، الذي بدا شاردًا للحظات قبل أن يتحدث.

مايكل: (يضع كوبه على الطاولة) إذن ، بعد كل ما رأيته في رحلتك ، هل تعتقد أن المشكلة بين الشرق والغرب مجرد سوء فهم ، أم أن هناك شيئًا أعمق؟

عبدالله: (يتأمل السؤال) لو كان الأمر مجرد سوء فهم ، لكان من السهل تصحيحه بالحوار والانفتاح... لكن الواقع مختلف. كلما تعمقت أكثر ، كلما رأيت أن هذا الانقسام ليس عشوائيًا ، بل يبدو وكأنه استراتيجية مدروسة ، تم التلاعب بها على مدى عقود طويلة.

مايكل: (يميل للأمام باهتمام) تقصد أن هناك من يستفيد من هذا الصراع؟

عبدالله: بالتأكيد، وأبرز المستفيدين هم أصحاب النفوذ الصهيوني، الذين لعبوا دوراً أساسياً في ترسيخ حالة الصدام بين الشرق والغرب. لم يكن الهدف فقط السيطرة على موارد العالم الإسلامي، بل أيضاً خلق عدو دائم للغرب يمكن استغلاله سياسياً واقتصادياً.

مايكل: (يفكر بصوت عالٍ) هذا منطقي... الإعلام الغربي، منذ عقود، يقدم الإسلام كتهديد، ويركز على الإرهاب، وكأن الشرق الأوسط لا يملك أي شيء آخر سوى العنف والتخلف.

عبدالله: تماماً، وفي المقابل، الإعلام العربي يتم تغذيته بخطاب يجعل الغرب عدواً مستبداً يريد القضاء على الإسلام، مما يغذي مشاعر الغضب والعداء. النتيجة؟ لا حوار حقيقي، لا تقارب، فقط حالة من العداء المستمر تخدم مصالح طرف ثالث.

مايكل: (يهز رأسه) وهذا الطرف الثالث هو من يملك وسائل الإعلام الكبرى، والبنوك، والمراكز الفكرية التي تشكل وعي الناس... عبدالله: بالضبط، الصهاينة ليسوا مجرد مجموعة سياسية تسعى لحماية إسرائيل، بل هم ماكينة إعلامية، اقتصادية، وثقافية، عملت على إعادة تشكيل طريقة تفكير العالم ليبقى دائماً في حالة استقطاب وصراع.

مايكل: لكن لماذا؟ ما مصلحتهم في ذلك؟

عبدالله: لأنهم لا يريدون أن يكون هناك تعاون حقيقي بين الشرق والغرب. تخيل لو أن العالم الإسلامي والغربي تجاوزا هذه الصراعات وبدأوا بالتعاون فعلياً، من سيكون الخاسر؟
مايكل: (يفكر) إسرائيل؟

عبدالله: وأكثر من ذلك... القوى التي صنعت إسرائيل، والتي تعتمد على استمرار النزاعات لتبرير سياساتها، سواء في التحكم بالاقتصاد العالمي أو في تبرير التدخلات العسكرية أو حتى في الحفاظ على أنظمتها الداخلية.

مايكل: (يأخذ نفساً عميقاً) إذن، نحن جميعاً أدوات في لعبة أكبر مما كنا نتصور...

عبدالله: (يتسهم بمرارة) نعم، لكن الإدراك هو الخطوة الأولى للخروج منها... والآن، بعد أن عرفنا الحقيقة، يبقى السؤال: هل سنبقى مجرد متفرجين، أم سنحاول تغيير شيء؟

مايكل: (يتأمل كلام عبدالله) لكن هل تعتقد أن هناك فرصة حقيقية لتغيير هذا الواقع؟ أم أن الأمور خرجت عن السيطرة وأصبحت متجذرة في النظام العالمي؟

عبدالله: (يضع كوبه على الطاولة وينظر لمايكل بجدية) التغيير ليس سهلاً، لكنه ليس مستحيلاً أيضاً. المشكلة أن معظم الناس لا يدركون أنهم يعيشون داخل منظومة مصممة لإبقائهم في حالة صراع دائم. بمجرد أن يبدأ الوعي في الانتشار، يصبح من الممكن كسر هذه الحلقة.

مايكل : (يهز رأسه) لكن كيف؟ الإعلام تحت سيطرتهم، الأنظمة السياسية تدور في فلകهم، وحتى التعليم موجه بطريقة تبقي الناس في هذه الدائرة المغلقة من الجهل والتبعية.

عبدالله: (يبتسم بثقة) صحيح، لكن لا شيء يبقى على حاله. التاريخ مليء بلحظات بدت فيها القوى المسيطرة وكأنها لا تُقهر، ثم جاءت موجات من الوعي غيرت كل شيء. التحدي الحقيقي ليس إسقاط هذه المنظومة بضربة واحدة، بل في بناء وعي تدريجي يجعل الناس يدركون الحقيقة بأنفسهم.

مايكل : (يفكر للحظة) إذن، ترى أن الحل يبدأ من الفكر، وليس من السياسة أو المواجهة المباشرة؟

عبدالله: تمامًا، لأن أي تغيير سياسي بدون وعي حقيقي لن يكون إلا إعادة تدوير لنفس القوى بأسماء جديدة. يجب أن نبدأ بتغيير طريقة تفكير الناس، تحفيزهم على طرح الأسئلة بدلاً من قبول الأجوبة الجاهزة، وجعلهم يدركون أن العداء المصطنع بين الشرق والغرب يخدم طرفاً ثالثاً أكثر من أي طرف آخر.

مايكل : (يبتسم) يبدو أنك وجدت هدفك أخيراً.

عبدالله: (يضحك) ربما... لكن على الأقل، لم أعد تائهاً كما كنت في البداية. الرحلة لم تكن فقط للبحث عن الحقيقة، بل كانت لاكتشاف مسؤوليتي تجاهها.

مايكل : (يمد يده لعبدالله) حسناً، إن كنت ستبدأ هذه المعركة، فأعتقد أنك لن تكون وحدك.

عبدالله: (يصفحه بابتسامة) لنكن واقعيين... ستكون معركة طويلة، لكنها معركة تستحق أن نخوضها.

وفي تلك اللحظة، شعر عبدالله أن رحلته لم تنته، بل إنها بدأت للتو، ولكن هذه المرة، كان يحمل معه شيئاً أكثر قيمة من الشكوك والأسئلة... كان يحمل اليقين بأن التغيير ممكن، وأن الحقيقة تستحق أن يُقاتل من أجلها.

مايكل في مواجهة نفسه

في تلك الليلة، عاد مايكل إلى منزله، لكنه لم يكن كما كان قبل لقائه بعبدالله. هناك شيء ما تغير في داخله... شيء لم يكن يستطيع تجاهله. جلس في الصلاة، بينما كان والده يقرأ صحيفة، وأمه تشاهد الأخبار على التلفاز، وكانت الشاشة تعرض تقريراً عن "الإرهاب في الشرق الأوسط" وتحليلاً عن "التوتر بين الغرب والعالم الإسلامي".

تردد للحظات، لكنه لم يستطع كتمان ما يدور في ذهنه. مايكل: (يأخذ نفساً عميقاً) أمي، أبي... هل تعتقدان أن ما يُعرض في الإعلام هو الحقيقة الكاملة؟

الأم: (تنظر إليه باستغراب) ماذا تقصد؟
الأب: (دون أن يرفع عينيه عن الصحيفة) الإعلام يعكس الواقع يا بني، لكنه قد يبالغ أحياناً. لماذا تسأل؟
مايكل: (يفكر للحظة) لأنني بدأت أشعر أن هناك صورة أخرى لم نرها، أو ربما لم يُسمح لنا برؤيتها.

الأم: (تخفض صوت التلفاز) هل لهذا علاقة بحدثك مع صديقك المسلم؟

مايكل: نعم... لكن ليس الأمر كما تعتقدان. لم يحاول إقناعي بشيء، لكنه جعلني أرى الأمور بطريقة مختلفة. لقد نشأت على فكرة

أن الشرق الأوسط هو المشكلة، وأن الإسلام في صدام دائم مع الغرب، لكن ماذا لو لم يكن الأمر كذلك؟ ماذا لو كان هذا كله جزءاً من لعبة أكبر؟

الأب: (يضع الصحيفة جانباً وينظر إليه بجدية) لعبة؟ من تقصد؟ مايكل: (يحاول ترتيب أفكاره) أعني... فكروا فيها، لماذا دائماً يتم تصوير الإسلام كعدو؟ ولماذا يتم الترويج للخوف من المسلمين في كل مكان؟ ماذا لو كان الهدف الحقيقي ليس حماية الغرب، بل إبقاء الشرق والغرب في حالة صراع دائم حتى لا يتحدوا أبداً؟ الأم: (تهز رأسها) لكن الإرهاب حقيقة، ونحن رأينا ما حدث في السنوات الماضية...

مايكل: صحيح، لكن هل سألنا أنفسنا من المستفيد الأكبر من هذا الخوف؟ من المستفيد من إبقاء الغرب في حالة حرب مع الشرق؟ من الذي يتحكم بالإعلام ويوجه عقولنا نحو هذه الفكرة دون أن نطرح أي سؤال؟

الأب: (يفكر للحظة) تقصد أن هناك جهة تستغل هذه الصراعات لصالحها؟

مايكل: نعم، واليهود الصهاينة هم اللاعبون الأساسيون في هذه اللعبة، فهم من يملكون المؤسسات الإعلامية الكبرى، وهم من يقودون البنوك العالمية، وهم من زرعوا فكرة أن الشرق هو العدو، بينما في الحقيقة هم من استفادوا من هذا الصراع ليبقوا القوة الحاكمة في العالم.

الأم: (تتردد) لكن... هذا كلام خطير، يا بني.

مايكل : (يبتسم بمرارة) أعرف ، ولهذا لم نسمع به من قبل ، لأنه ليس من المفترض أن نفكر بهذه الطريقة. لكن بمجرد أن تبدأ بطرح الأسئلة الصحيحة ، تبدأ الصورة الحقيقية بالظهور.

الأب: (بعد لحظة صمت) حسناً ، لنفترض أنك على حق ... ماذا يعني هذا بالنسبة لنا؟

مايكل : يعني أن علينا أن نعيد التفكير في كل ما تعلمناه ، أن لا نأخذ كل شيء كما هو ، بل أن نبحث ، ونفهم ، ونسأل من المستفيد من كل هذه الحروب والصراعات. يعني أنني لم أعد أرى الأمور كما كنت أراها من قبل.

الأم: (تنظر إليه بقلق) وما الذي تنوي فعله بعد كل هذا؟
مايكل: (يبتسم) لا شيء متطرف ، لا تقلقي. فقط سأبحث أكثر ، وأتأكد من أنني لا أعيش وفق رواية كُتبت لي دون أن أشارك في كتابتها. جلس هناك ، غارقاً في أفكاره ، بينما والديه تبادلا نظرات حائرة. لم يكن مايكل نفسه بعد الآن... لقد بدأ يدرك أن الحقيقة لم تكن أبداً كما صورها له الإعلام ، وأن ما قاله عبدالله لم يكن مجرد أفكار ، بل ربما كان بداية لرحلة جديدة في البحث عن الحقيقة ... الرحلة التي لم يكن يعلم أنه سيخوضها يوماً.

بعد يومين من حديثه مع والديه ، التقى مايكل بعبدالله في حديقة الجامعة ، حيث جلسا تحت شجرة قديمة يتناولان الغداء. بدا على مايكل شرود واضح ، وكأنه لا يزال يعيد التفكير في النقاش الذي دار مع أهله. تنهد قبل أن يقول: "لقد تحدثت مع والديّ عن كل ما ناقشناه ، ولم يكن الأمر سهلاً... لكنني أدركت شيئاً مهماً." رفع عبدالله

حاجيه باهتمام وسأله: "وما هو؟" ابتسم مايكل ابتسامة باهتة وأجاب:
"أن الشك بداية الطريق نحو الحقيقة... وربما هذه رحلتي الآن."

قال مايكل وهو يقضم شطيرته:

"أتعلم، عبدالله؟ رغم أنك قضيت كل هذا الوقت في لندن، ما
زلت تبدو لي كأنك تحمل الشرق معك أينما ذهبت."

رفع عبدالله حاجبه متسائلاً:

"ماذا تعني؟ هل تقول إنني لم أندمج كفاية؟"

ضحك مايكل وهز رأسه:

"ليس تمامًا. لكن دعني أسألك: هل تشعر أنك تنتمي إلى هنا؟"

أطرق عبدالله مفكراً، ثم قال بعد لحظة صمت:

"لا أعلم... عندما أكون هنا، أشعر بأنني مختلف، غريب بطريقة لا
يمكنني تفسيرها. لكن عندما أفكر في العودة إلى قريتي، أدرك أنني
أصبحت غريباً هناك أيضاً. في الشرق، يروني شخصاً خرج عن
التقاليد، وفي الغرب، سأظل دائماً ذلك الرجل القادم من ثقافة أخرى."
ابتسم مايكل وألقى بقايا شطيرته في القمامة:

"أوه، يا صديقي، هذا ليس شيئاً سيئاً كما تظن. ربما أنت فقط

شخص ينتمي إلى الأفكار أكثر مما ينتمي إلى الأماكن."

في تلك الليلة، ظل عبدالله يفكر في كلمات مايكل. كانت الفكرة
غريبة عليه في البداية، لكنه أدرك أنها قد تكون صحيحة. ربما لم يكن
بحاجة إلى الانتماء إلى مكان بقدر حاجته إلى الانتماء إلى فكرة، إلى
رحلة بحث لا تنتهي.

نهض من كرسيه، متوجهاً إلى النافذة المطلّة على شوارع لندن، حيث الأضواء المتناثرة والناس الذين يبدوون دائماً في حركة مستمرة. فكر في حياته هنا، في تلك الغربة التي لم تعد مجرد إحساس، بل أصبحت جزءاً من كيانه. ثم خطر له شيء فجأة. التفت إلى مايكل بابتسامة:

"أنت محق... ربما يجب أن نأخذ الأمور ببساطة. ما رأيك في أن نقضي عطلتنا القادمة في الريف الأسكتلندي؟ رحلة استكشافية، نرى كيف يعيش الناس هناك، ونتعرف على عاداتهم عن قرب؟" اتسعت عينا مايكل بحماس وقال:

"يا لها من فكرة رائعة! الريف الأسكتلندي ساحر جداً، الطبيعة هناك تخطف الأنفاس. أعرف بعض الأماكن التي يمكن أن تكون مثالية."

في اليوم التالي، تحدث عبدالله مع سامي وبعض الأصدقاء الآخرين، الذين تحمسوا للفكرة على الفور. بدأ مايكل بتنظيم التفاصيل، واختاروا قرية صغيرة في المرتفعات الأسكتلندية لقضاء أسبوع من المغامرات والاستكشاف.



عبد الله يمشي وحيداً في شوارع لندن المزدحمة غارقاً في التفكير
مما يعكس صراعه الداخلي وشعوره بالاغتراب الفكري والثقافي

رحلة إلى الريف الأسكتلندي

بعد أسبوعين، انطلقت المجموعة في سيارتين مستأجرتين من لندن، متجهين شمالاً. ومع كل ميل يقطعونه، بدأ المشهد يتغير تدريجياً؛ تحولت المباني العالية إلى تلال خضراء، والطرق الصاخبة إلى مسارات ريفية هادئة، حتى وصلوا أخيراً إلى قريتهم الصغيرة.

كان الطقس باردًا لكنه منعش ، والهواء نقي بطريقة لم يعهدها في المدينة. استقبلهم صاحب النزل ، رجل خمسيني بلكنة اسكتلندية ثقيلة ، وقدم لهم مفاتيح الغرف الصغيرة المطلة على بحيرة هادئة. في الصباح التالي ، خرجوا لاستكشاف المنطقة. ساروا بين الحقول ، حيث كانت الأغنام ترعى بحرية ، والتقوا ببعض المزارعين المحليين الذين رحبوا بهم بلطف.

"أتعلم ، عبدالله؟" قال سامي وهو ينظر إلى الأفق البعيد. "المدينة تجعلنا ننسى بساطة الحياة. هنا ، الأمور واضحة... الناس يعيشون وفق إيقاع الطبيعة ، بلا تعقيدات الحداثة."

أوماً عبدالله موافقاً ، ثم التفت إلى مايكل وسأله :
"كيف يشعر المرء عندما يكون جزءاً من هذا المكان؟ أعني... عندما تنتمي إليه منذ ولادتك؟"

ضحك مايكل وقال : "الانتماء ليس بالضرورة أن يكون للمكان فقط. بعض الناس يولدون في مكان معين ، لكن أرواحهم تنتمي إلى أماكن أخرى. ربما أنت أحد هؤلاء ، عبدالله."

في تلك الليلة ، جلسوا حول نار مشتعلة بالقرب من كوخ خشبي ، يتحدثون عن كل شيء ؛ عن الهوية ، والانتماء ، والأماكن التي تغيرنا دون أن ندرك. وفي لحظة صمت ، نظر عبدالله إلى السماء المليئة بالنجوم ، وشعر بشيء مختلف... شعور بالسكينة ، وكأن هذه الرحلة لم تكن مجرد استكشاف للريف ، بل كانت رحلة داخلية ، إلى جزء من نفسه لم يلتفت إليه من قبل.

ابتسم لنفسه وهمس بصوت بالكاد يُسمع :

"ربما مايكل كان محقاً... ربما الانتماء ليس إلى مكان، بل إلى رحلة لا تنتهي."

في صباح اليوم التالي، استيقظ عبدالله على صوت طيور تحلق فوق البحيرة، وصدى الرياح وهي تمر بين الأشجار. كانت لحظة من الصفاء، بعيدة عن صخب المدينة وضغوط الحياة اليومية. خرج إلى الشرفة الصغيرة المطلة على المروج الخضراء، فوجد مايكل مستنداً إلى السور الخشبي، يحتسي قهوته بهدوء.

"صباح الخير، يا رجل المدينة!" قال مايكل مبتسماً.

ضحك عبدالله واقترب منه، يستنشق الهواء البارد العذب. "صباح الخير... أتعلم؟ هناك شيء مختلف هنا. كأنني أتنفس للمرة الأولى منذ زمن."

أوماً مايكل موافقاً، ثم قال: "أعتقد أن لكل مكان سحره الخاص. المدينة مليئة بالحياة، لكنها تسرق منك وقتك دون أن تشعر. أما هنا... فالوقت ملكك، والطبيعة تعلمك التريث والتأمل."

بعد الإفطار، قرروا استكشاف القرى المجاورة، حيث كان السكان المحليون يقيمون سوقاً صغيراً تعرض فيه منتجاتهم اليدوية. تجولوا بين الأكشاك، يتحدثون إلى الباعة، يتذوقون الجبن المحلي، ويستمعون إلى القصص القديمة التي يحكيها كبار السن عن تاريخ المنطقة.

في أحد الزوايا، كان هناك رجل مسن يعزف على آلة موسيقية تقليدية، تحلق حوله الأطفال وهم يصفقون بإيقاع متناغم. وقف عبدالله يتأمله للحظات، ثم التفت إلى سامي وقال:

"الغريب أن هذه الموسيقى، رغم اختلافها عن موسيقانا، إلا أنها تلامس شيئاً بداخلي... كأنها تتحدث بلغة عالمية لا تحتاج إلى ترجمة."

ابتسم سامي وأجابه: "ربما لأننا جميعًا نبحث عن شيء مشترك،
عن صوت يعبر عن مشاعرنا مهما اختلفت ثقافتنا."
في تلك الليلة، بينما كانوا جالسين أمام المدفأة في المنزل، فتح
مايكل نقاشًا جديدًا:

"ما رأيكم؟ بعد هذه التجربة، هل تعتقدون أن الإنسان يستطيع أن
يكون بلا جذور؟ أم أن الجذور تتغير مع الوقت؟"
ساد الصمت لوهلة، ثم قال عبدالله ببطء:

"أعتقد أن الجذور ليست مجرد مكان ولدت فيه، بل هي التجارب
التي تشكل هويتك. قد تبدأ من نقطة، لكنك كلما تعلمت شيئًا جديدًا،
كلما امتدت تلك الجذور إلى أماكن أخرى."

أومأ مايكل موافقًا، بينما أضاف سامي: "إذن، ربما نحن لسنا مجرد
أبناء مكان واحد، بل أبناء رحلاتنا، وأفكارنا، والأسئلة التي نطرحها
على أنفسنا."

شعر عبدالله أن هذا الحوار لم يكن مجرد كلمات عابرة، بل كان
انعكاسًا حقيقيًا لما يمر به. تذكر كيف بدأ رحلته بأسئلة حيرته، وكيف
قيل له ذات يوم إن البحث لا جدوى منه. لكنه الآن، بعد كل هذه
السنوات، كان يملك إجابة مختلفة:

"السؤال لا يقودك إلى الضياع... بل إلى الأفق."

ابتسم لنفسه وهو ينظر إلى النار المتراقصة أمامه. شعر أن رحلته لم
تكن عبثًا، وأنه في كل خطوة قطعها، كان يقترب أكثر من فهم ذاته
والعالم من حوله.

بينما كان عبدالله يتجول في السوق الريفي، لفت انتباهه كشك
صغير تباع فيه امرأة عجوز بعض المصنوعات اليدوية والمخبوزات

التقليدية. كانت تجلس على كرسي خشبي، تضع شالاً صوفياً على كتفها، وابتسامة دافئة ترسم على وجهها وهي تتحدث مع المارة. اقترب عبدالله منها، متأملاً قطع البسكويت الذهبي المرصوصة بعناية في علبة معدنية مزخرفة.

"هل هذه مصنوعة يدوياً؟" سألها بفضول.

رفعت العجوز نظرها إليه وأجابت بفخر: "بالطبع، هذه وصفة قديمة ورثتها عن جدتي. اسمه البسكويت الاسكتلندي، لن تجد له مثيلاً في أي مكان آخر."

مدّ يده ليتناول قطعة، وبينما كان يضعها في فمه، شعر بتلك القرمشة الغنية بطعم الزبدة، ما جعله يغمض عينيه للحظة متذوقاً النكهة الفريدة. ابتسم وقال: "لذيذ جداً! يذكرني ببعض الحلويات التقليدية في قريتي."

ضحكت العجوز وقالت: "يبدو أنك غريب عن هذه الأنحاء، أليس كذلك؟ من أين أتيت، أيها الشاب؟"

أخبرها عبدالله أنه من الشرق الأوسط، وأنه يدرس في لندن، وجاء في رحلة لاستكشاف الريف الاسكتلندي. نظرت إليه باهتمام، ثم قالت: "يا لك من شاب فضولي! قليلون هم من يهتمون باستكشاف الأماكن القديمة والتعرف على الناس. هل لديك وقت لتأتي معي إلى منزلي؟ سأعد لك شايًا حقيقياً، وسأخبرك بعض القصص التي لا تُروى في الكتب."

قبل عبدالله دعوتها بامتنان، وسار معها عبر طريق ضيق تحيط به الأشجار حتى وصلا إلى كوخها الصغير المبني من الحجارة القديمة. بدا

وكأنه جزء من تاريخ المنطقة، بجدرانها السميكة ومدخته التي تنبعث منها رائحة الخشب المحترق.

داخل المنزل، شعر عبدالله بدفء غامر، لم يكن مصدره المدفأة فقط، بل كرم الضيافة وروح العجوز الطيبة. قدمت له كوبًا من الشاي الساخن مع طبق من البسكويت، ثم جلست قبالته وهي تقول: "أتعلم، يا بني؟ قد تظن أن الحياة هنا كانت سهلة، لكنها لم تكن كذلك أبدًا." رفع عبدالله حاجبه باهتمام: "كيف ذلك؟"

تنهدت العجوز وهي تحديق في صورة قديمة معلقة على الجدار، ثم قالت: "قبل مئات السنين، كانت الحياة هنا قاسية. كنا نكافح البرد، الفقر، وحتى الحروب. أجدادنا قاتلوا للحفاظ على أرضهم وهويتهم، عانوا الجوع، شقوا الأرض بأيديهم، وواجهوا الغزاة. لكن رغم ذلك، لم نفقد إنسانيتنا أبدًا. كنا نتقاسم الخبز، نساعد بعضنا بعضًا، ونرحب بالغريب وكأنه واحد منا."

شعر عبدالله برجفة خفيفة تسري في قلبه. تذكر كيف نشأ على أفكار بأن الغرباء مختلفون، وأن هناك دائمًا "نحن" و"هم". لكن هنا، في هذا الكوخ البسيط، مع كوب شاي دافئ وقصة عن صراع البشر من أجل الكرامة، لم يشعر بأي اختلاف.

نظر إلى العجوز وقال: "قصتك تذكرني بحكايات أجدادنا عن النضال. يبدو أن البشر، رغم اختلاف أماكنهم، يتشاركون نفس المعاناة ونفس الأمل."

ابتسمت العجوز وهزت رأسها: "بالضبط، يا بني. في النهاية، لسنا سوى أناس نحاول أن نجد مكانًا لنا في هذا العالم، وأن نعيش بكرامة."

جلس عبدالله هناك طويلاً، مستمعاً لقصصها، متأملاً كيف أن رحلته التي بدأها بالبحث عن إجابات، قادتته إلى اكتشاف مشترك أكبر مما كان يتصور.

بعد عودته من الرحلة، جلس عبدالله في شقته الصغيرة، غارقاً في التفكير. كان لا يزال يشعر بدفع ذلك اللقاء في كوخ العجوز، بصوتها وهي تسرد قصصاً عن نضال أجدادها من أجل العيش بكرامة. لأول مرة، أدرك أن التاريخ لا يقتصر على أمته فقط، وأن البشر، رغم اختلاف لغاتهم وثقافتهم، يحملون في داخلهم نفس المعاناة ونفس الأمل.

في تلك الليلة، وقف عبدالله أمام نافذة شقته، ينظر إلى أضواء لندن المتلائية، وكأنها تعكس داخله المتشابك. تذكر وجه والده حين ودّعه في المطار، تذكر أحاديث أصدقائه في قريته، وتذكر كيف كان يرى الغرب وحشاً كاسراً، ثم اكتشف أنه ليس سوى عالم آخر، مختلف لكنه ليس بالضرورة شريراً.

لقد بدأ رحلته بحثاً عن إجابات، لكنه وجد شيئاً أعمق: وجد إنسانية مشتركة تتجاوز الحدود والاختلافات. ومع ذلك، كان يعلم أن هذه ليست نهاية الرحلة، بل مجرد بداية لفهم جديد للعالم ولمكانه فيه. كان بإمكانه العودة إلى بلاده، وإخفاء كل هذه الأفكار في زاوية بعيدة من عقله، والعيش كما لو أن هذه الرحلة لم تحدث. لكن في أعماقه، كان يعلم أن الأمر لم يعد خياراً.

همس لنفسه بصوت خافت:

"لا عودة إلى الوراء."

ابتسم ساخراً وهو يرفع كوب الشاي البارد ليشرب منه، ثم عبس قائلاً:

"تَبَّأ، لقد أصبح مثلجاً."

أخذ عبدالله رشفة من كوب الشاي المثلج، وشعر بمرارة في فمه. لم يكن الشاي فقط هو الذي أصبح بارداً، بل أيضاً تلك اللحظات التي اعتاد فيها على الشعور بالراحة بين عالمين. الآن، كان يشعر أنه عالق بين الحنين إلى الماضي وقلق الحاضر، بين شرق يطلب منه أن يلتزم بقيمه، وغرب يطلب منه أن يذوب في تياراته.

نظر إلى نافذة الشقة، حيث كانت أضواء المدينة تتلألأ كما لو كانت تود أن تخبره بشيء ما. كانت لندن بكل طاقتها وصخبها، ولكن في داخله، كان يشعر بالخواء. أدرك أنه لم يعد ينتمي إلى تلك الصورة البسيطة التي حملها عن الشرق، ولا إلى الفكرة الرومانسية التي كان يظن أنه سيجدها في الغرب. كان يراهن على نفسه الآن، ولا يعرف ما إذا كان سيربح هذا الرهان أم لا.

جلس على أريكته، وأخذ يفكر في السنوات التي قضاها بعيداً عن منزله، كيف كان كل شيء واضحاً حين كان في قريته، وكيف أن حياته كانت تسير وفق نمط تقليدي معروف. لكن الآن، في هذه المدينة الضخمة التي لا تعرف الأوقات الهادئة، أصبح هو نفسه يتساءل عن مكانه.

"هل هذا ما يعنيه النمو؟" همس لنفسه. "هل النمو هو أن تفقد نفسك بين كل هذه الخيارات، أم أن تجد مكاناً لك بين هذه المتناقضات؟"

في تلك اللحظة، شعر بشيء غريب يتحرك داخله. كانت فكرة العودة إلى الماضي، إلى تلك البساطة التي عاش فيها في قريته، تجذب قلبه. لكنه كان يعرف في نفس الوقت أن هذه العودة ليست حلاً، بل هروباً.

ابتسم بخفوت، ثم أغمض عينيه كأنما يعزف على أوتار قلبه، قائلاً في نفسه:

"ربما لا توجد إجابة واحدة. ربما علينا فقط أن نعيش مع الأسئلة، وأن نسمح لأنفسنا أن نتغير."

كان هناك شيء آخر أيضاً بدأ يتجذر في قلبه، شيء يتجاوز الأسئلة الصعبة، شيء يشبه الأمل المتجدد، حتى في وسط التشوش والضياغ. في اليوم التالي، بينما كان عبدالله يسير في الحرم الجامعي، قابل سامي، صديقه من نفس الكلية، الذي لاحظ على الفور تعبيرات وجهه المتعبة والمشوشة.

"يبدو أنك غارق في أفكارك اليوم، يا عبدالله. ماذا حدث؟" قال سامي وهو يبتسم بهدوء.

ألقى عبدالله نظرة سريعة على وجه صديقه قبل أن يجيب، صوته مليء بالتردد: "أشعر وكأنني عالق بين عالمين، سامي. لم أعد أعرف أين أتمي. لا الشرق، ولا الغرب، ولا حتى نفسي."

سامي توقف لحظة، ثم سحبت شفثيه إلى ابتسامة خفيفة، كأنما يريد أن يطمئنه، لكنه يعرف تماماً أن الكلمات لن تكون كافية: "أعرف شعورك. هذه المرحلة من الحياة مرّ بها الكثيرون. تجد نفسك ضائعاً بين ما كنت تعرفه وما تكتشفه الآن. لكن... هل تعتقد أن المشكلة في الأماكن نفسها؟ أو ربما فينا نحن الذين نحاول أن نتأقلم معها؟"

عبدالله ابتسم بشكل غير كامل، ثم قال: "ربما. لكنني أشعر أنه ليس مجرد شعور بالضيق، بل محاولة للعثور على أساس جديد. أحياناً أتساءل إن كان كل هذا الذي أبحث عنه مجرد وهم. هل أنتمي إلى أي من هذين العالمين؟ أم أنني مثلما قال مايكل، مجرد شخص يحمل أفكاراً أكثر مما يحمل هوية مكانية؟"

سامي ظل يراقب عبدالله للحظة، ثم سحب كرسيًا وأجلس نفسه بجانبه: "أنت تعرف، عبدالله، يمكننا أن نكون متأثرين بكل شيء من حولنا دون أن نفقد هويتنا. الشرق لا يعني أننا ننتمي إلى كل شيء فيه، والغرب لا يعني أننا نتخلى عن جذورنا. يمكننا أن نصبح خليطاً من الثقافات والأفكار."

صمت عبدالله قليلاً، يفكر فيما قاله سامي، ثم نظر إليه قائلاً: "أنت ترى أنني يمكن أن أكون في مكانين في نفس الوقت؟"

أجاب سامي بهدوء: "نعم، يمكن أن تكون جزءاً من كل شيء، ولا تحتاج للانتماء إلى مكان واحد فقط. ربما تكون أنت الآن في مرحلة اكتشاف نفسك، لا في مرحلة تحديد هويتك بشكل نهائي."

أخذ عبدالله نفساً عميقاً، وأحس بشيء من الطمأنينة وهو يتحدث عن مشاعره مع شخص يقدر ما يمر به. كان يعلم أن هذا لا يعني أنه سيتوصل إلى إجابة فورية، لكنه في تلك اللحظة كان يشعر بشيء من السلام الداخلي، وكأن هناك بصيص أمل ينبثق من ضباب الأسئلة.

"ربما كنت أبحث عن إجابة محددة، سامي. ربما كان عليّ أن أبدأ بتقبّل أن الحياة ليست دائماً عن إجابات. ربما هي أكثر عن الأسئلة، وكيف نعيش معها."

ابتسم سامي قائلاً: "نعم، ربما يكون هذا هو الجواب نفسه."

ابتسم عبدالله لأول مرة بصدق، وأحس أن الطريق ليس بالضرورة أن يكون واضحاً تماماً، لكنه يمكن أن يكون قابلاً للعيش.

في الأيام التالية، بدأ عبدالله ينظر إلى حياته من زاوية جديدة. كان يتذكر محادثته مع سامي، ويفكر في مفهوم الانتماء والتحديات التي تواجهه كإنسان يسير بين ثقافتين. لكنه أدرك شيئاً مهماً: ليس عليه أن يتصالح مع كل شيء في آن واحد، بل يمكنه أن يأخذ الأمور خطوة بخطوة، وأن يعيش في تلك المساحة الرمادية التي كانت تمثل تحدياً له في البداية.

في أحد الأيام، بعد محاضرة ثقافية عن العلاقات بين الشرق والغرب، قرر عبدالله أن يمشي في الحديقة القريبة من الحرم الجامعي. بينما كان يسير على الممرات المليئة بالأشجار، شعر بشيء يشبه الطمأنينة يلفه. كان الهواء بارداً بعض الشيء، لكن جمال الطبيعة حوله جعل هذا الشعور يغمره. توقف لوهلة أمام نافورة صغيرة، وأخذ نفساً عميقاً.

"ربما لا يحتاج كل شيء إلى إجابة"، همس عبدالله لنفسه وهو يتأمل حركة الماء.

مرت لحظات من السكون قبل أن يتذكر كلام مايكل: "قد تكون أفكارك هي وطنك، وليس المكان نفسه." تذكر هذا الاقتباس، وأصبح أكثر اقتناعاً بأن الرحلة التي كان يخوضها لم تكن متعلقة بالبحث عن مكان ينتمي إليه فحسب، بل عن العثور على سلام داخلي وسط هذا الارتباك الثقافي.

في اليوم التالي، التقى مع سامي في مقهى الجامعة، حيث جلسا يتناولان فنجان قهوة ساخن. بدأ عبدالله الحديث قائلاً: "لقد فكرت فيما

قلته لي ، وأعتقد أنك على حق. ليس عليّ أن أبحث عن إجابة واحدة، ولا أن أبحث عن إجابة لكل شيء في الوقت ذاته. يكفي أن أعيش اللحظة وأتعلم منها."

ابتسم سامي وقال: "هذا هو المبدأ، عبدالله. العيش دون ضغط الإجابات. ببساطة، كلما فكرت أكثر، كلما زادت الأسئلة. لكن ما يجعلك تواصل هو الجواب الذي تجده في تجربة الحياة نفسها." أخذ عبدالله رشفة من قهوته ، وقال وهو يتأمل سحب السماء فوقهما: "قد تكون الأسئلة جزءاً من الجواب في حد ذاتها."

الفصل الحادي عشر : تحقيق حلم عبد الله

مرت السنوات ، وتغيرت حياة عبدالله بشكل غير متوقع . بعد فترة طويلة من التفكير العميق والبحث ، قرر أن حلمه الجديد كان يتطلب أكثر من مجرد دراسة أو تحليل فكري ؛ بل كان بحاجة إلى تنفيذ ملموس . كان يعتقد أن هذا التغيير الذي يطمح إليه يحتاج إلى نقطة انطلاق تكون عملية وواقعية ، ولذلك قرر فتح مركز دراسات صهيونية متخصص .

بدأ عبدالله بخطوات متأنية . بدأ بدراسة كيفية إنشاء المركز ، وجمع الأموال ، والبحث عن مكان مناسب . استدان من بعض أصدقائه الذين كانوا يثقون في مشروعه ، واستطاع تأمين مكان صغير في إحدى ضواحي لندن التي كانت تعج بالأنشطة الفكرية والثقافية .

المركز كان حلماً أكبر من مجرد مؤسسة أكاديمية . كان عبد الله يرى فيه مشروعاً يعيد الحقائق إلى نصابها ، ويقوض الجريمة الفكرية التي ارتكبتها اليهود بحق تاريخهم وبحق الشعوب التي تأثرت بما اعتقدوا أنه حقيقة . كان يهدف إلى التقريب بين الشعوب من خلال نشر الوعي الصحيح ، والتوضيح حول تاريخ الصراع اليهودي-الإسلامي ، والتحديات الثقافية التي عاشتها هذه المجتمعات بسبب التأثيرات الصهيونية .

نقاش عبد الله مع المسؤولين حول تأسيس مركز دراسات صهيونية متخصص

جلس عبد الله في قاعة الاجتماعات الفاخرة، حيث تحلّق حوله مجموعة من المسؤولين والمفكرين المهتمين بالشأن السياسي والفكري. كان الجو مشحونًا بمزيج من الترقب والاهتمام، فالجميع يدرك أهمية ما سيطرحه عبد الله اليوم.

عبد الله: "أشكركم على إتاحة هذه الفرصة لي لطرح رؤيتي بشأن تأسيس مركز دراسات متخصص في الفكر الصهيوني. بعد أكثر من 35 عامًا من البحث في هذا المجال، أدركت أن فهم الصهيونية لا يجب أن يكون مجرد ردة فعل أو موقف عاطفي، بل يحتاج إلى دراسة علمية معمقة. للأسف، رغم وجود مراكز تهتم بالصراع العربي الإسرائيلي، لا يوجد مركز متخصص في دراسة الفكر الصهيوني بحد ذاته، لا في العالم العربي ولا الإسلامي."

نظر إليه أحد المسؤولين باهتمام قبل أن يسأل:
"وما الذي يجعل هذا المركز ضرورة وليس مجرد فكرة بحثية إضافية؟"

ابتسم عبد الله، ثم أجاب بثقة:
"لأننا، بكل صراحة، لا نملك حتى الآن فهمًا عميقًا للآليات التي تعمل بها الصهيونية، ولا للاستراتيجيات التي تنفذها في منطقتنا. هذا الفكر لم يعد مجرد نظرية، بل أصبح منظومة متكاملة تؤثر على السياسة، الاقتصاد، الإعلام، وحتى على تشكيل الوعي العام. نحن

بحاجة إلى تحليل دقيق لمصادره الفكرية، ووضع خطط مدروسة لمواجهة علمياً، بدل الاكتفاء بالشعارات والمواقف العامة."

تبادل الحاضرون النظرات، قبل أن يطرح مسؤول آخر سؤالاً:

"ما الأهداف الأساسية التي سيحققها المركز؟"

رفع عبد الله بعض الأوراق التي أعدها مسبقاً، وقال بوضوح:

"هناك ستة أهداف رئيسية يسعى المركز لتحقيقها:"

1. إجراء أبحاث أكاديمية مستقلة حول الفكر الصهيوني وتأثيراته

التاريخية والجيوسياسية.

2. تعزيز الوعي العربي والإسلامي حول استراتيجيات وأهداف

الصهيونية.

3. تشجيع الحوار العلمي بين الباحثين من مختلف أنحاء العالم

حول أثر الصهيونية على السياسات الدولية.

4. إنتاج دراسات ميدانية توثق تأثير السياسات الصهيونية على

المجتمعات العربية والإسلامية من جوانب اقتصادية واجتماعية ونفسية.

5. نشر وترجمة الأبحاث لتقديم صورة دقيقة وموضوعية عن

الصهيونية على المستويات الدولية والعربية.

6. تعزيز التعاون الدولي مع مراكز بحثية أخرى لدعم الحقائق

التاريخية حول القضية الفلسطينية.

ساد صمت قصير، قبل أن يعلق أحد المسؤولين:

"هذا يبدو طموحاً، لكن لا شك أن هناك تحديات كبيرة قد

تواجهكم."

أوماً عبد الله برأسه، وقال:

"بالطبع، وأنا مدرك تماماً لهذه التحديات، وأهمها:"

1. التمويل، حيث إن دعم مشروع بهذا الحجم قد يواجه عقبات مالية.

2. الرقابة السياسية، فبعض الدول قد ترى في البحث في الفكر الصهيوني موضوعاً حساساً.

3. الانقسام العربي، مما قد يصعبّ توحيد الجهود في هذا المجال.

4. الهيمنة الأكاديمية الغربية، التي قد تحاول التأثير على السردية التاريخية المتعلقة بالصهيونية.

5. الضغوط الدبلوماسية، إذ قد تواجه قطر ضغوطاً من جهات دولية بسبب دعمها لمركز من هذا النوع.

نظر إليه أحد الحاضرين بتفكير، ثم قال:

"أين يمكن أن يكون موقع هذا المركز؟ ولماذا قطر تحديداً؟"

أجاب عبد الله بحماس:

"قطر تُعد بيئة مناسبة لهذا المشروع، فهي تمتلك رؤية استراتيجية تدعم البحث العلمي المستقل، ولها دور متوازن في السياسة الإقليمية والدولية. كما أن إنشاء المركز هنا سيمنحه مصداقية دولية، بعيداً عن الاستقطابات السياسية في بعض الدول الأخرى."

تبادل الحاضرون النظرات مرة أخرى، وبدأت على بعضهم علامات القبول بالفكرة. تحدث مسؤول آخر قائلاً:

"هذا مشروع طموح، لكن يحتاج إلى دراسة أعمق للجدوى وإمكانيات التنفيذ."

ابتسم عبد الله بثقة، وقال:

"أنفهم ذلك تماماً، وأنا مستعد لتقديم دراسة تفصيلية حول آليات تنفيذ المشروع، وخطوات تأسيسه، والشراكات الممكنة مع مراكز بحثية أخرى. إن إنشاء هذا المركز ليس مجرد فكرة بحثية، بل خطوة استراتيجية لفهم طبيعة التحديات التي تواجه الأمة، وإعادة تشكيل الوعي العربي تجاهها."

ساد صمت قصير، ثم بدأ بعض المسؤولين بتدوين ملاحظاتهم، بينما همس أحدهم لزميله:

"يبدو أن الوقت قد حان لمثل هذا المشروع."

مشهد الفرحة والاحتفال مع الأصدقاء بعد قبول فتح المركز كان عبد الله جالساً في منزله عندما رن هاتفه. نظر إلى الشاشة، فكان الرقم يعود إلى أحد المسؤولين الذين حضروا الاجتماع. تردد لثانية قبل أن يجيب، ثم جاءه الصوت الهادئ من الطرف الآخر:

"أخي عبد الله، أود أن أهنئك شخصياً... لقد تم قبول مشروع المركز، وبدأت الإجراءات الرسمية لتأسيسه!"

ساد الصمت للحظة، وكأن الزمن توقف. لم يصدق عبد الله ما سمعه، فوقف مكانه محاولاً استيعاب الخبر. ثم، وبلا وعي، رفع يده إلى رأسه، وضحك ضحكة ارتجالية تعبر عن مزيج من الفرحه والارتياح. وأخيراً، قال بحماس:

"الحمد لله... أخيراً! لم يذهب كل هذا الجهد سدى!"

خرج عبد الله من منزله على الفور متوجهاً إلى المقهى الذي اعتاد أن يلتقي فيه بأصدقائه، وبمجرد أن دخل، لمح سامي وبعض الأصدقاء يجلسون هناك. لم يستطع كبح ابتسامته، وما إن اقترب منهم حتى قال بصوت يملؤه الحماس:

"لقد وافقوا! المركز سيصبح حقيقة!"
وقف سامي من كرسيه، وبدون تفكير، احتضن عبد الله بقوة قائلاً:
"أقسم بالله أنك تستحق هذا وأكثر! كنت واثقاً أن إصرارك سيؤتي
ثمارة!"

أما بقية الأصدقاء، فقد بدأوا بالتصفيق الحار وسط ضحكات
الفرحة، وتحول المقهى إلى ساحة احتفال صغيرة. رفع أحدهم كوبه
قائلاً:

"لنشرب على هذا الخبر العظيم! طبعاً، عصير البرتقال كما يحب
عبد الله!"

بدأ الجميع يتحدثون في وقت واحد، كل شخص يريد أن يعبر عن
فرحته بطريقة مختلفة. أحدهم قال:

"يا رجل، قبل سنوات كنا نناقش هذه الأفكار كمجرد أحلام، والآن
أصبح لدينا مركز حقيقي سيدرس الصهيونية بعمق علمي!"

جلس عبد الله، وهو لا يزال في نشوة النصر. وبينما كانت أصوات
الفرح من حوله، بدأ شريط الذكريات يمر أمام عينيه...

تذكر أولى لحظاته في البحث، عندما كان مجرد شاب متحمس،
يقرأ الكتب وي طرح الأسئلة التي كان البعض يسخر منها. تذكر ذلك
الكول الذي قال له ذات يوم:

"أستلتك هذه لن توصلك إلى شيء، لا تُضِع وقتك!"
لكن اليوم... ها هو يثبت العكس. سؤال واحد كان كفيلاً بفتح آفاق
جديدة، وكان إصراره على البحث هو الذي قاده إلى هذه اللحظة
التاريخية.

تنهد عبد الله بارتياح، ثم نظر إلى أصدقائه قائلاً:
"الرحلة لم تكن سهلة، لكنني تعلمت شيئاً واحداً... السؤال ليس
مجرد فضول، بل هو مفتاح للمعرفة، والمعرفة هي أول خطوة نحو
التغيير."

بدأ المركز يصدر مجموعة من الكتب والدراسات التي تتناول
التأثيرات الفكرية للصهيونية، وكيف أن هذه الأيديولوجيا قد أثرت في
الشرق الأوسط وفي العالم بشكل عام. لم يكن هدفه في هذا المركز نشر
خطاب الكراهية أو التفريق بين الشعوب، بل كان يسعى لإزالة الغشاوة
عن الأذهان، وإعادة التفكير في التاريخ من منظور جديد يعكس
الحقيقة من جميع جوانبها.

وكان المركز يعقد ندوات ومحاضرات أسبوعية يجتمع فيها علماء،
مفكرون، وأشخاص من مختلف الخلفيات الثقافية، يناقشون معاً تاريخ
الصراع، وتداخل الأديان، وكيفية إعادة النظر في التراث الفكري الذي
دُرس منذ عقود. كثير من الزوار لم يكونوا يتوقعون أن يجدوا مكاناً
يجمع بين بحث أكاديمي دقيق وبين تساؤلات فلسفية عميقة، ولكن
مركز عبدالله نجح في جذب جمهور عريض من مختلف الجنسيات
والخلفيات.

كتب المركز كانت متنوعة. تضمنت مواضيع مثل "تاريخ الفكر
اليهودي وتأثيره على المجتمعات الإسلامية"، و"الصهيونية كفكر
سياسي وفكر ديني"، بالإضافة إلى كتب عن الاستشراق، والصراع
الثقافي بين الشرق والغرب. عبد الله كان يريد أن يزرع الفهم الصحيح
في الأذهان، ويروج للمعلومات التي ساعدت في فهم عواقب تأثير
الأيديولوجيا الصهيونية.

بينما كان عبدالله يتوسع في مشاريعه البحثية ويغوص أعمق في كتب التاريخ والفكر، اكتشف شيئاً كان له وقع كبير على تفكيره. كان يبحث في تفسير وتحليل الأيديولوجيا الصهيونية وتأثيراتها، وعثر على ذكر تاريخي غريب يتعلق بـ "السامري" في قصص الأنبياء التي رويت في الكتابات الدينية.

اكتشف عبدالله أن شخصية السامري، الذي ورد اسمه في القرآن الكريم باعتباره الشخص الذي أضل بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر، كان قد تم تحريف فهمه عبر العصور. فعلى مر التاريخ، تم تقديم السامري كخائن فقط، شخصاً منحرفاً تم استغلاله في تفسير تقليدي للقصّة، دون التعمق في الجذور الحقيقية لما كان يفعله.

بينما كان عبدالله يغوص في طبقات التفسير التقليدي، اكتشف أن تحالف السامري مع الشيطان كان يمثل أكثر من مجرد خيانة جماعية لبني إسرائيل. بل كان هذا التحالف رمزاً لفهم أعمق للصراع الروحي والفكري الذي كان يشهد صعوده في تلك الفترة الزمنية. اكتشف أن السامري كان أداة في خطة أكبر، وهي تكوين فكر يستغل الدين لزرع الشكوك وتضليل الشعوب من خلال أيديولوجيات مغلوطة، تماماً كما يحدث في وقتنا الحاضر مع الصهيونية. تم تحريف القصص لتغطية هذا الفهم، ولجعل السامري يُنظر إليه كشخص فردي منحرف فقط، بدلاً من أن يكون رمزاً لفكرة أو نهج فكري أوسع.

هذا الاكتشاف جعل عبدالله يشعر بالدهشة. كان يعلم أن هذا الجهل بالتفسير الحقيقي قد استمر لعقود طويلة، وأن فهم هذا التحالف كان سيغير الطريقة التي يُنظر بها إلى الكثير من الأحداث التاريخية. كان هذا جزءاً من ما أسماه "التغطية المتعمدة" التي كانت تستخدم لإخفاء

الحقائق، لتوجيه فهم الناس في مسارات محددة. فبينما كانت الروايات التقليدية تركز على خيانة السامري، تم تجاهل أو تحريف العناصر التي كانت تشير إلى تحالفه مع قوى خفية تسعى لتشكيل أفكار الشعوب.

هذا الاكتشاف أحدث تحولاً في أبحاث عبدالله. أصبح مركزه ليس مجرد مكان لدراسة التأثيرات الفكرية للصهيونية، بل أصبح أيضاً منبراً للنظر في كيفية تأثير هذه التحالفات الفكرية والدينية على تشويه الحقيقة في التاريخ. بدأ عبدالله يركز في فحص كيف تم استخدام الدين والسياسة بشكل متشابك لتوجيه المجتمع نحو فهم محدد، وكيف أن الذاكرة التاريخية قد تم تعديلها عمداً لتخدم مصالح معينة.

وفيما كانت الدراسات تتوالى، شعر عبدالله أن مركزه أصبح يضيء جوانب من التاريخ التي كانت مظلمة، وأنه كان في طريقه لإعادة كتابة جزء من التاريخ الذي تم تزييفه.

الصدمة الفكرية : نشر الفكرة وسط التحديات

لكن فتح المركز لم يكن سهلاً. على الرغم من النجاح الذي حققه في البداية، إلا أن عبدالله واجه العديد من المعارضة الفكرية. كان هناك أفراد متطرفون من جميع الأطراف، سواء من اليهود أو المسلمين، الذين كانوا يرون في مركزه تهديداً لأيديولوجياتهم. كان المركز يواجه صراعاً داخلياً بين نشر الحقيقة والدفاع عن الأفكار التي قد تتعارض مع الآراء السائدة.

الندوات التي كان يديرها عبدالله كثيراً ما كانت تثير الجدل، خصوصاً عندما بدأ يناقش قضايا مثل التأثيرات الخفية للتوراة على الفكر المسيحي واليهودي، وكيف أن هذه التأثيرات شكلت ملامح

الفكر الغربي الحديث. في كثير من الأحيان، كان يتعرض لانتقادات لاذعة من بعض أصدقائه السابقين الذين وجدوا صعوبة في التعايش مع أفكاره الجديدة.

ورغم هذه التحديات، كان عبدالله مقتنعاً بأن الحقائق لا يمكن أن تُخفى. كان يؤمن أن كلمته في النهاية ستصل إلى الأذهان التي تستحق أن تسمعها، حتى وإن كان ذلك يعني مواجهة مخاطر الانعزال أو التحجيم. وعندما بدأ المركز يحقق بعض النجاح في نشر المعرفة وزيادة النقاشات الفكرية بين الشعوب المختلفة، شعر أنه قد وصل إلى نقطة تحول في مسيرته الفكرية.

إصرار على الهدف : تقارب الشعوب

لم يكن هدفه فقط في نشر الوعي حول اليهودية أو الصهيونية. بل كان يطمح إلى بناء جسر بين الثقافات التي طالما كانت في صراع. كان يأمل أن يجد نقطة تلاقي بين شعوب الشرق والغرب، وتقديم أرضية مشتركة للتفاهم. لم يكن عبد الله يريد أن يكون مركزه معهداً أكاديمياً جافاً، بل كان يهدف إلى أن يكون منصة حوار حقيقية بين أديان وثقافات متنوعة، لخلق نوع من المصالحة أو التفاهم بين هذه الشعوب المتباينة.

أحد المشاريع الكبرى التي قرر المركز العمل عليها كان مشروعاً مشتركاً مع عدة منظمات غير حكومية تهدف إلى التخفيف من معاناة المجتمعات التي تأثرت بالحروب والصراعات الفكرية. كانت المساعدات الإنسانية جزءاً أساسياً من عمل المركز، حيث كان يعتقد أن المصالحة الحقيقية لا تتم إلا عندما تُبنى على أساس إنساني.

الاختبار النهائي : الكلمة الأخيرة

ومع مرور السنوات، أصبح المركز واحداً من أبرز المعاهد البحثية التي تتمتع بسمعة عالية في الوسط الأكاديمي والسياسي. كان عبد الله قد بنى علاقة قوية مع العديد من الشخصيات السياسية والفكرية في العالم، وكان دائماً يحاول أن يشرح لهم رؤيته: أنه لا يمكن أن يكون هناك صراع دائم بين الشرق والغرب، ولا بين اليهود والمسلمين، إذا اعتمد الجميع على الحقيقة والتفاهم.

لكن، في داخله، كان يشعر أن المعركة الأكبر كانت قد بدأت بالفعل. المعركة لم تكن فقط على المستوى السياسي أو الأكاديمي، بل كانت معركة على مستوى الفكر. كان يعلم أن العالم في حاجة إلى أن يتخلص من الأيديولوجيات التي عاشت لقرون، وأنه حتى بعد كل هذه الجهود، قد تظل هناك تحديات أكبر ينتظرها.

لكن عبد الله كان مصمماً. كان قد بدأ طريقاً جديداً، وكان الهدف الأكبر أمامه الآن: تحقيق الحلم الذي بدأه منذ أن كان طالباً في بريطانيا. في صباح أحد الأيام، بينما كان عبدالله جالساً في مكتبه في المركز، يراجع آخر الدراسات التي نشرها، شعر بشيء غريب. لم يكن شعوراً بالإنجاز فحسب، بل كان شعوراً بأن رحلته كانت قد اقتربت من نهايتها، أو على الأقل من مرحلة جديدة. عرف أن طريقه لم يكن سهلاً، وأنه دفع ثمناً كبيراً من راحته الشخصية، ومن علاقاته العائلية، ومن حياته الاجتماعية. ولكنه أيضاً كان يعرف أن الهدف الذي عمل من أجله قد تحقق جزئياً، وأن الجهود التي بذلها بدأت تؤتي ثمارها.

نظر إلى الجدران المليئة بالكتب والصور، وتوقف عند صورة قديمة له وهو شاب في بريطانيا، يقف أمام مكتبة الجامعة. ابتسم وهو يتذكر تلك اللحظات التي كان فيها غارقاً في أسئلة لم يكن يعرف كيف يجد لها إجابات. لم يكن يعلم حينها أنه سيصل إلى هذه النقطة، حيث أصبح هو نفسه مصدراً للإجابة لأجيال قادمة.

فتح الكمبيوتر لبدأ الكتابة، وكتب في آخر سطر من مذكراته: "البحث عن الحقيقة ليس مجرد رحلة؛ إنه اختبار مستمر للروح والعقل. قد تظن أنك قد وصلت إلى النهاية، ولكن الحقيقة أنها تبدأ فقط عندما تبدأ في فهم أنك لا تعرف شيئاً. المعركة الأكبر ليست مع الأيديولوجيات، بل معك أنت، مع نفسك، ومع تلك الأفكار التي اعتقدت أنك متأكد منها. في النهاية، الكلمة الأخيرة ليست للآخرين، بل هي لنا نحن، الذين جسرنا الفجوات، واجتزنا المحيطات الفكرية، لتتعلم أن الحقيقة أوسع من أن تُختصر في كلمة أو فكرة واحدة." أغلق الكمبيوتر، وأخذ نفساً عميقاً، وهو يشعر بأن مهمته لم تنتهِ بعد، بل إن باباً آخر قد فُتح أمامه، باب البحث المستمر الذي لا ينتهي.

الفصل الثاني عشر: العودة إلى الوطن

كان المطار مكتظاً، والأصوات متداخلة بين إعلانات الرحلات ونداءات المسافرين، لكن كل ذلك بدا ضبابياً بالنسبة لعبدالله. وقف عند بوابة الخروج، حقيقته على كتفه، وعينه تجولان في المشهد أمامه. بعد سنوات من الغياب، ها هو يعود إلى بلاده، لكن... أي عبدالله عاد؟

عندما غادر، كان شاباً ممتلئاً بالأسئلة، تائهاً بين الشك واليقين. أما الآن، فقد عاد بشهادة جامعية في يده، وأفكار أكثر نضجاً في عقله، ورؤية مختلفة تماماً عن تلك التي حملها عندما استقل الطائرة إلى لندن لأول مرة.

الاستقبال والعودة إلى الجذور

ما إن خرج من بوابة المطار، حتى وجد والده واقفاً هناك، متكئاً على سيارته، وابتسامة فخر مرسومة على وجهه. بجانبه، وقف إخوته وبعض أصدقائه القدامى، يلوحون له بحماس.

عانقه والده بشدة وقال بصوت مفعم بالمشاعر:

"الحمد لله على سلامتك، يا ولدي. لقد رفعت رؤوسنا."

ابتسم عبدالله وهو يتلقى التهاني واحداً تلو الآخر. لم يكن المشهد غريباً عليه، لكنه شعر أن هناك مسافة خفية تفصل بينه وبين هذا العالم الذي كان يوماً كل ما يعرفه.

في طريق العودة إلى المنزل، كان والده يتحدث بحماس عن حفلة العشاء التي أُعدت احتفالاً به، وعن أقاربهم الذين سيأتون لتهنئته. أما

عبدالله، فكان ينظر عبر النافذة، يتأمل الشوارع التي لم تتغير كثيراً، لكنه كان يرى فيها شيئاً جديداً... ربما لأنه هو نفسه لم يعد كما كان. بينما كانت السيارة تسير ببطء عبر الطرقات المألوفة، لاحظ عبدالله كيف أن كل شيء بدا كما هو، وكأن الزمن قد توقف في مكانه. الشوارع الضيقة، والمحال الصغيرة التي تباع الخضار والفواكه، والمقاهي المزدحمة التي كان يمر بها كل يوم قبل سفره... كلها كانت كما تركها، لكن في داخله، كان كل شيء قد تغير. لم يعد يراها بعين الشاب الذي خرج للبحث عن مكانه في العالم، بل بعين الرجل الذي حمل معه تجارب كثيرة، أفكاراً صراعية، وأحياناً قلقاً لا يعرف كيف يشرحه.

توقف نظره عند زاوية الشارع حيث كان يلعب الأطفال في صغره، ثم ابتسم بحزن. كان يذكر كيف كان يتمنى أن يترك هذه البلدة ورائه، ويكتشف عوالم جديدة بعيداً عن ضغوطها وحدودها. الآن، وبعد سنوات من الغربة، شعر بنوع من العزلة في مكانه الأصلي، وكأن الفجوة بينه وبين هذا المكان قد اتسعت.

عندما وصلوا إلى البيت، دخل عبدالله، فاستقبله الأقارب والأصدقاء بحفاوة كبيرة. كان هناك بعض الوجوه الجديدة التي لم يكن يعرفها، وبعض الوجوه القديمة التي بدا لها وكأنها تحتفظ بتلك الذكريات التي تركها ورائه. مع كل ابتسامة وتحية، كان عبدالله يتسم بلطف، لكنه شعر وكأن جزءاً من قلبه لا يزال في مكان آخر، في لندن، حيث بدأت رحلته الفكرية والعقلية.

أثناء العشاء، جلس مع والديه وأشقائه، لكن قلبه كان مشغولاً. شعر أن أجواء المنزل قد اختلفت، وأنه لم يعد الشخص الذي كان يتخيل نفسه يعود إليه. بدأ والده يتحدث عن المشاريع الصغيرة التي يمكنه المشاركة فيها، وعن الأصدقاء الذين كانوا يتساءلون عنه طوال غيابه، وعن الأشياء التي لا تزال بحاجة إلى انتباهه في المنزل. كان كل شيء كما كان، لكنه لم يعد يجد نفسه في هذا المكان الذي كان يمثل له مهداً.

في تلك اللحظات، أدرك عبدالله شيئاً مهماً: أنه قد لا يستطيع أن يظل في هذا المكان القديم بنفس الطريقة التي كان يفكر بها في الماضي. العودة إلى الوطن كانت تعني العودة إلى نفس المسائل التي كانت تشغل تفكيره قبل مغادرته، لكنها الآن كانت تبدو أكثر تعقيداً. بينما كان يقلب طعامه في صحنه، استدار نحو والده وقال بصوت هادئ:

"أبي، هناك أشياء كثيرة يجب أن أقولها، ورؤى مختلفة ربما تحتاج إلى وقت لتوضيحها. لكنني بحاجة لبعض الوقت، لفهم كيف أستطيع الجمع بين ما تعلمته وما كنت أعتقد سابقاً."

نظر إليه والده باهتمام، ثم قال بصوت هادئ:

"نعم، يا بني، نحن نعلم أن العودة ليست سهلة، لكن تذكر أن الجذور تبقى، حتى عندما تتغير الأفرع."

ابتسم عبدالله بلطف، وعاد لينظر إلى الحشد حوله، وهو يشعر بثقل الكلمات التي قالها، لكن في الوقت نفسه، شعر أن هذه كانت البداية لحوار طويل مع نفسه، ومع مجتمعه، ومع العالم.

بداية العمل والتحديات الجديدة

بعد أسابيع من عودته، بدأ العمل في إحدى المؤسسات البحثية، حيث كان مسؤولاً عن تحليل الدراسات الثقافية والتاريخية. كان سعيداً بالفرصة، لكنها لم تكن سهلة، فالأفكار التي اكتسبها خلال دراسته لم تكن مرحباً بها دائماً.

في أحد الأيام، وبينما كان جالساً في مكتبه، دخل عليه أحد الزملاء وقال بابتسامة ساخرة:

"يبدو أنك عدت من بريطانيا بأفكار كثيرة، لكن تذكر، نحن هنا لا نحب الفلسفة، نحن نحب النتائج." ضحك عبدالله ورد قائلاً:

"لكن أليس الفلسفة هم من يصنعون التغيير؟"

هز زميله رأسه وهو يخرج من المكتب، بينما جلس عبدالله يفكر: كيف يمكنه تحقيق التغيير دون أن يصطدم بالمجتمع؟ كيف يمكنه توظيف معرفته في شيء حقيقي؟

لم يكن عبدالله ينوي مشاركة رحلته مع أحد في البداية، لكنه سرعان ما أدرك أن كتمانها لما اكتشفه سيقويه في دوامة الشك وحده. قرّر أن يبدأ نقاشاته مع سامي، صديقه الذي لطالما كان متحمساً للحوار، لكنه في كثير من الأحيان بدا متأثراً بالروايات التقليدية دون مساءلة.

التقيا في أحد المقاهي المطلة على الخليج، حيث كانت نسيمات البحر تمزج بين الحرارة والرطوبة.

سامي: تبدو مختلفاً يا عبدالله، كأنك عدت بشيء ثقیل على كاهلك.

عبدالله: بل عدتُ بحقائق لم أكن أراها من قبل. رحلتي لم تكن مجرد سفر، بل كانت كشفًا لما هو أعمق.

سامي (مازحًا): لا تقل لي إنك تنصّرت!

عبدالله (يتسم بخفة): بل على العكس، عدتُ أقرب إلى الإسلام، ولكن ليس الإسلام الذي عرفته من خلال الروايات المشوّهة، بل الإسلام في جوهره الحقيقي.

سامي (متفاجئًا): ماذا تقصد؟

عبدالله: أثناء نقاشي مع القساوسة، وجدت أنهم لا يناقشون الإسلام بناءً على فهمهم للنصوص الأصلية، بل وفقًا لصورة مغلوطة رسمها المستشرقون والمبشرون. كانوا يطرحون أسئلة مبنية على افتراضات خاطئة، لكن المفاجأة كانت عندما بدأتُ أنا بطرح الأسئلة عليهم.

سامي: وما الذي اكتشفته؟

عبدالله: اكتشفت أن هناك محاولات ممنهجة لتشويه الإسلام عبر التاريخ، وأن كثيرًا من المفاهيم التي يتم ترويجها عنه هي في الحقيقة محض تحريف أو إسقاطات سياسية. عندما سألتهم عن التوحيد في المسيحية، وجدت تناقضًا كبيرًا، وعندما ناقشنا تاريخ الأديان، تبين لي أن هناك حقائق طُمست عمدًا أو تم تشويهها لصالح جهات معينة.

سامي (بفضول): هل تقصد أن هناك مؤامرة على الإسلام؟

عبدالله: لا أريد استخدام كلمة مؤامرة، لكنها أشبه بمشروع مستمر منذ قرون، يهدف إلى إخفاء بعض الحقائق التي قد تغيّر مسار التفكير لدى كثيرين. هل تعلم أن بعض الباحثين الغربيين أنفسهم بدأوا يعترفون بأن هناك تحريفًا طال كثيرًا من الروايات الدينية؟

سامي: وماذا عن القرآن؟ هل تعرض أيضاً للتحريف كما يزعم البعض؟

عبدالله (بحزم): لا، وهذا ما يميزه. لقد بحثت في هذا الأمر كثيراً، ووجدت أن الحفاظ الدقيق للقرآن على مدى القرون يجعل من مسألة تحريفه أمراً مستحيلاً. حتى المستشرقون المنصفون يعترفون بذلك. لكن المشكلة ليست في القرآن، بل في فهمنا له، في الطريقة التي تم تقديمه لنا، وفي بعض التفاسير التي أضافت إليه ما ليس منه.

سامي (بتفكير عميق): إذن، أنت تقول إن علينا إعادة قراءة الإسلام بعيداً عن التفسيرات المشوهة؟

عبدالله: بالضبط. المشكلة أن كثيراً من الناس لا يميزون بين الإسلام كدين وبين الممارسات التاريخية التي ارتبطت به، والتي قد تكون بعيدة كل البعد عن تعاليمه الحقيقية.

صمت سامي للحظات، وهو يحاول استيعاب ما قاله عبدالله. كانت هذه المرة الأولى التي يشعر فيها أن صديقه ليس مجرد باحث عن إجابات، بل حامل لرؤية واضحة تهدف إلى تصحيح الفهم السائد. سامي (بابتسامة خفيفة): يبدو أن رحلتك لم تكن عبثاً، بل قادتك إلى يقين مختلف.

عبدالله: ليس يقيناً كاملاً بعد، لكنه يقين يتشكل كل يوم. نهض عبدالله من مقعده، وهو ينظر إلى البحر الذي بدا ممتداً بلا نهاية. كانت رحلته لا تزال في بدايتها، لكنه كان يعرف الآن أن البحث عن الحقيقة لا يتوقف عند محطة واحدة، بل هو طريق مستمر، يتطلب شجاعة لطرح الأسئلة، وجراً لإعادة النظر في كل ما ظنناه مسلماً به.

الفصل الثالث عشر: المحاضرة والتفاعل

بعد نقاشاته العميقة مع سامي، شعر عبدالله أن عليه مشاركة ما اكتشفه مع دائرة أوسع. كان يدرك أن كثيراً من الشباب يعانون من نفس الإشكالات الفكرية التي مر بها، وأن إعادة تفعيل القرآن في حياتهم تحتاج إلى نقاشات مفتوحة بعيداً عن الجمود والتكرار.

سامي (بحماس): عبدالله، لماذا لا تلقي محاضرة حول هذا الموضوع؟ الكثير من الشباب بحاجة إلى هذا الطرح المتوازن بين التجديد واحترام الثوابت.

عبدالله (متردداً): لا أعرف، لم ألقِ محاضرة من قبل. سامي (مبتسماً): ستفعلها بطريقتك الخاصة. اجعلها نقاشاً مفتوحاً، لا محاضرة تقليدية.

بعد تفكير، وافق عبدالله. نظم سامي اللقاء في قاعة صغيرة داخل الجامعة، وحضر مجموعة من الطلاب المتحمسين للحوار. كان بعضهم يحمل تساؤلات، بينما جاء آخرون بدافع الفضول. وقف عبدالله أمامهم، ينظر إلى العيون التي تترقبه، ثم بدأ حديثه.

عبدالله: "عندما نذكر القرآن اليوم، ما أول ما يخطر ببالكم؟"

ساد صمت للحظات قبل أن يرفع أحد الطلاب يده.

الطالب الأول: كتاب ديني نقرأه في رمضان؟

ضحك بعض الحضور، لكن عبدالله ابتسم وقال:

عبدالله: هذا صحيح، عند كثير من الناس القرآن أصبح كتاباً موسمياً. وماذا أيضاً؟

الطالبة الثانية: هو كتاب التشريع الإسلامي، لكنه يبدو بعيداً عن واقعنا.

عبدالله: هذه نقطة مهمة. هل القرآن جاء فقط ليكون نصاً تُرتله للحسنات؟ أم أنه منهاج حياة شامل؟
رفع أحد الطلاب يده، وكان يبدو متردداً.

الطالب الثالث: نحن نؤمن أنه منهاج حياة، لكن التفسيرات القديمة لا تجعلنا نشعر بذلك. بعضها يبدو غير مرتبط بحياتنا اليوم.

عبدالله (مؤيداً): بالضبط، وهذا هو جوهر النقاش اليوم. نريد أن نعيد القرآن إلى دوره الحقيقي، ليس فقط ككتاب يُتلى، بل كمنهاج عملي. لكن السؤال هو: لماذا فقدنا هذا التفاعل معه؟

بدأ عبدالله يشرح رؤيته، مستخدماً العرض التفاعلي الذي أعده:

أزمة الجمود في التعامل مع القرآن

1- التفسير التقليدي بين النقل والاجتهاد

• الكثير من التفاسير القديمة اعتمدت على النقل فقط، دون

استخدام النص القرآني نفسه كأداة للتفسير.

• القرآن يفسر بعضه بعضاً، لكن كثيراً من التفاسير تجاهلت

هذا المبدأ.

2- تأثير الموروث الثقافي والإسرائيليات

• بعض الروايات المأخوذة من التراث اليهودي والمسيحي

أثرت في فهم القصص القرآني، مما أدى إلى انحراف بعض التفاسير عن المعاني الحقيقية.

3- ضعف الربط بين الآيات

• بدلاً من تفسير القرآن كنظام مترابط، تم تفكيكه إلى آيات منفصلة، مما أدى إلى فهم مجتزأ للموضوعات.

رفع أحد الطلاب يده معترضاً:

الطالب: لكن أليس الصحابة والتابعون أقرب إلى فهم النص؟ لماذا

لا نكتفي بتفسيرهم؟

عبدالله: سؤال جيد. نحن لا ننكر فضلهم، لكن فهم القرآن ليس حكراً على جيل معين. الرسول ﷺ كان يفسر بعض الآيات بأخرى، ولم يكن يقتصر على تفسير واحد جامد. المشكلة أن بعض التفسيرات القديمة كُتبت في سياقات اجتماعية وسياسية مختلفة عن واقعنا، لذا يجب أن نعيد قراءة النصوص وفقاً لمتطلبات عصرنا، دون المساس بالشواهد.

انتقل عبدالله إلى المحور الثاني من حديثه:

بين التقليد والتجديد في التفسير

1. إعادة إنتاج التفسير دون مراجعة نقدية

• كثير من التفاسير الحديثة تعيد ما قاله المفسرون القدماء دون

النظر إن كان يناسب واقعنا اليوم أم لا.

2. الجمود وأثره على فهم القرآن في العصر الحديث

• أصبحنا نتعامل مع القرآن وكأنه نص تاريخي بدلاً من كونه

نصاً معاصراً يعالج مشكلات اليوم.

3. التجديد بين الاعتدال والانحراف

• هناك اتجاهان متطرفان: الأول يرفض أي محاولة لفهم

جديد، والثاني يحاول فرض تأويلات لا تستند إلى المنهج العلمي.

رفع أحد الطلاب يده متسائلاً:

الطالب: إذن ما الحل؟ كيف يمكننا فهم القرآن بطريقة صحيحة دون الوقوع في التطرف؟

ابتسم عبدالله وأجاب:

عبدالله: هنا يأتي دور منهج "تفسير القرآن بالقرآن".

منهج تفسير القرآن بالقرآن كحل متوازن

1. ما هو تفسير القرآن بالقرآن؟

• هو منهج يقوم على أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، وهو ما استخدمه النبي ﷺ.

2. مزايا هذا المنهج

• يزيل التعارض الظاهري بين الآيات.

• يحفظ التفسير من التأثيرات غير القرآنية.

• يساعد في رؤية القرآن كنظام مترابط بدلاً من آيات منفصلة.

3. أمثلة عملية

• تفسير مفهوم الشيطان:

• عند ربط آيات الشيطان ببعضها نجد أنه ليس مجرد كائن

يُوسوس للأفراد، بل هو نظام فكري متكامل، كما في قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَيُوحُّونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجْدِلُواكُمْ﴾ [الأنعام: 121].

• تفسير العلاقة بين اليهود والجبّات والطاغوت:

• بعض التفاسير فسرت الجبّات والطاغوت بمعانٍ محدودة،

لكن عند الربط بآيات أخرى، نجد أنها تشير إلى منظومة فكرية وسياسية لها تأثيرها المستمر.

ساد صمت في القاعة، ثم رفع أحد الطلاب يده قائلاً:

الطالب: هل تقصد أن القرآن فيه كل شيء لحل مشكلاتنا اليوم؟

عبدالله: القرآن يضع الأسس، لكنه لا يقدم حلولاً جاهزة لكل تفصييلة. دوره هو أن يكون مرجعاً يعطينا القواعد الأساسية التي نبني عليها اجتهاداتنا في كل زمان.

اقتربت نهاية المحاضرة، لكن النقاش لم ينتهِ. شعر عبدالله بأنه نجح في فتح باب جديد للنقاش، وأدرك أن التغيير يبدأ بإعادة التفكير في الطريقة التي نقرأ بها القرآن. كانت تلك بداية رحلة جديدة، ليس فقط له، ولكن لكل من حضر تلك الأمسية الفكرية.

شرح عبد الله للحضور حول خارطة الطريق لإعادة تفعيل القرآن في حياة الأمة

وقف عبد الله أمام الحضور بعد أن أنهى محاضرتَه، ثم قال بصوت هادئ لكن مليء بالعزم:

"إذا أردنا أن نعيد القرآن إلى حياتنا كمنهج حيّ، فعلينا اتباع خارطة طريق واضحة. دعوني أخص لكم أهم ما تحدثنا عنه اليوم في ست نقاط أساسية:"

1. العودة إلى القرآن كمصدر أساسي

"أول خطوة علينا اتخاذها هي إعادة القرآن إلى موقعه الطبيعي في حياتنا، ليس كنص يُتلى دون تدبر، بل كمرجع رئيسي يوجه أفكارنا وقراراتنا. يجب أن نقرأه بعقل واعٍ، لا أن نتركه في الرفوف أو نحصره في الطقوس الشكلية."

2. تصحيح منهجية التفسير

"لنعترف أن الكثير من التفاسير التقليدية اعتمدت على النقل دون استنباط، مما جعل الفهم مقتصرًا على سياقات تاريخية معينة. نحن

بحاجة إلى العودة لمنهج (تفسير القرآن بالقرآن)، فهو يمنحنا رؤية أكثر ترابطاً وشمولية. علينا أن نكون يقظين تجاه الإسرائيليات والموروثات غير الصحيحة التي تسربت إلى التفسير.

3. كشف مخططات أعداء الإسلام

"يجب أن ندرك أن تغييب القرآن عن دوره الفعلي لم يكن أمراً عشوائياً، بل هو نتيجة لعمل مخطط له. أعداؤنا لم يمنعونا من قراءة القرآن، لكنهم جعلونا نقرأه دون فهم أو تطبيق. الإعلام، والسياسة، والمناهج التعليمية صُممت بطريقة تجعل المسلمين بعيدين عن مصدر قوتهم. علينا أن نكشف هذه الحقائق وندرك أبعادها."

4. إعادة التفكير والبناء

"نحن بحاجة إلى تفكيك الرواسب الفكرية التي عطّلت تفعيل القرآن في حياتنا، وإعادة بناء فهمنا على أسس صحيحة. هذا لا يعني رفض التراث، بل غربلته وتنقيحه. كما يجب علينا العمل على تطوير مناهج تعليم القرآن في المدارس والجامعات بحيث يكون تطبيقه عملياً في حياة الناس."

5. المواجهة الفكرية والتطبيق العملي

"لا يكفي أن نكتفي بالمناقشات الفكرية، بل يجب أن يكون هناك تطبيق عملي. إعادة القرآن إلى مركزية الحكم، والاقتصاد، والاجتماع، والتعليم، ليست رفاهية بل ضرورة. يجب أن ندعم المشاريع التي تعيد القرآن إلى الحياة، ونشجع على إعادة تفسيره بما يتناسب مع واقعنا دون أن نخرج عن الضوابط الشرعية."

6. اتخاذ موقف حاسم

"في النهاية، المعركة ليست مجرد جدل فكري، بل هي معركة وجودية بين الحق والباطل. علينا أن نختار: هل سنبقى أمة ضعيفة مستهلكة، أم سنعود إلى القرآن لنستعيد دورنا الحضاري؟ هذا القرار لا يقع على عاتق الحكومات فقط، بل كل فرد منا مسؤول عن دوره، سواء بالتعلم، أو التعليم، أو التطبيق."

ثم توقف عبد الله لبرهة، ونظر إلى الحضور وقال بحزم:
"إما أن نعيد القرآن إلى حياتنا وننهض به، أو نبقى أسرى لمنهجية صُممت لإضعافنا. فماذا سنختار؟"

ردة فعل الطلاب وشعور عبد الله بعد المحاضرة

مشهد التفاعل والتصفيق الحار

ساد الصمت للحظات بعد أن أنهى عبد الله حديثه، وكأن الجميع يستوعب عمق ما سمعوه للتو. لم تمض سوى ثوانٍ حتى بدأ أحد الطلاب بالتصفيق، ثم تبعه آخر، قبل أن يتحول القاعة بأكملها إلى عاصفة من التصفيق الحار. نهض بعض الطلاب من مقاعدهم، وبدأت على وجوههم علامات الحماس والانبهار، بينما تبادل آخرون النظرات وقد ارتسمت على ملامحهم الدهشة والتأمل.

شعر عبد الله بموجة من المشاعر تجتاحه، خليط من الامتنان والفخر، وكأنه يرى ثمرة رحلته الطويلة تتجلى أمامه. رفع رأسه ونظر إلى الحضور بعينين يملؤهما الإيمان واليقين بأن هذا هو الطريق الصحيح. حمد الله في سره على ما أوصله إليه، وشعر أن رحلته لم

تكن عبثاً، بل كانت خطوة في سبيل إعادة تفعيل القرآن في حياة الأمة،
وتصحيح المفاهيم التي حاول أعداء الإسلام طمسها.
وسط التصفيق، رفع أحد الطلاب يده وسأل بحماس:
"أستاذ عبد الله، كيف يمكننا تطبيق هذا في حياتنا اليومية؟ كيف
نبدأ؟"

ابتسم عبد الله، ثم قال بصوت هادئ لكنه حازم:
"البداية تكون من الوعي، من إدراك أن القرآن ليس مجرد كتاب
نتلوه، بل منهج حياة. علينا تفكيك الرواسب التي علقنا بفهمنا،
 وإعادة ربط الآيات ببعضها، لنرى الصورة الكاملة التي أرادها الله لنا.
هذا الكتاب هو آخر معقل لحماية الإنسانية من فساد الطغيان والعلو
الذي يفرضه اليهود في آخر الزمان، وإن لم نفعله في واقعنا، فلن نملك
سلاحاً نواجه به هذا الانحراف."

ساد الصمت مرة أخرى، لكنه هذه المرة كان مختلفاً، كان صمت
تفكير وتأمل. نظر عبد الله إلى طلابه، فرأى في أعينهم بريقاً جديداً...
بريق الوعي الذي كان يسعى لغرسه.

"هذا ما كنا نحتاج إلى سماعه!"

"لم يخبرنا أحد بهذه الطريقة من قبل!"

وقف أحد الطلاب متحمساً وسأل بصوت واضح: "أستاذ عبد الله،
ما تقوله يجعلني أشعر أنني كنت أقرأ القرآن طوال حياتي ولكنني لم
أفهمه حقاً... كيف نبدأ بتطبيق هذا المنهج؟"

أيده طالب آخر بحماس: "نعم! نحن نسمع كثيراً عن أهمية التدبر،
لكن لم يخبرنا أحد كيف نفعله في حياتنا اليومية!"

ابتسم عبد الله وهو يرى الحماس يشتعل في عيونهم. شعر أن رحلته إلى بريطانيا، نقاشاته، تساؤلاته، وحتى لحظات الشك التي مر بها، كلها قادتته إلى هذه اللحظة. هنا، أمامه، جيل جديد بدأ يستيقظ. أدرك حينها أن جهده لم يكن عبثاً، وأن الله قد هداه إلى دوره الحقيقي في الحياة.

رفع رأسه إلى السماء في لحظة تأمل داخلي، وحمد الله بصوت خافت، ثم قال للحضور:

"هذا هو المطلوب بالضبط! الوعي هو الخطوة الأولى، وما دمنا بدأنا بالتساؤل، فإننا نسير على الطريق الصحيح."

ثم أكمل بابتسامة فخورة: "ما أريده منكم ليس مجرد الإعجاب بهذه الأفكار، بل أن نبدأ معاً رحلة الفهم والتطبيق. القرآن لم يُنزل ليبقى نصّاً يُقرأ فقط، بل لنعيشه. فليكن هذا لقاءنا الأول في مشروع طويل يعيد القرآن إلى حياتنا."

تعالّت موجة تصفيق جديدة، أقوى من سابقتها، وكأن الجميع أيقن أن ما سمعوه اليوم ليس مجرد محاضرة، بل بداية تغيير حقيقي. كان هذا اليوم نقطة تحول، ليس فقط لهم، بل لعبد الله نفسه، الذي أيقن أن رحلته قد أثمرت، وأنه على الطريق الصحيح نحو تحقيق رسالته.

مع مرور الوقت، بدأ عبدالله في التوسع في عمله، حيث أصدر العديد من البحوث التي تناولت التأثيرات السياسية والثقافية للصهيونية في العالم. كانت دراساته تتطرق إلى جوانب اقتصادية وإعلامية وسياسية لم تُناقش بشكل كافٍ في العالم العربي. لكنه كان يعلم أن هذه البحوث وحدها لن تُحدث تغييراً حقيقياً. فإلى جانب الكتابات الأكاديمية، قرر أن يتواصل مع أكبر عدد من المفكرين والباحثين في هذا المجال،

ويحضر مؤتمرات دولية، حيث كان يلتقي بأشخاص يشاركونه نفس الهموم.

كانت تلك المؤتمرات بمثابة منصات لتبادل الأفكار، وقد منحت عبدالله الفرصة لتوسيع شبكة علاقاته مع شخصيات مؤثرة في مجالات مختلفة، من السياسة إلى الإعلام. من خلال تلك اللقاءات، بدأ عبدالله في تأسيس بذرة لمشروع أكبر، مشروع يسعى لمكافحة الهيمنة الصهيونية على القرار العالمي، سواء في المجال السياسي أو الاقتصادي أو الإعلامي. كان يخطط لإنشاء شبكة من المراكز البحثية التي تتناول تأثير الصهيونية على المستوى العالمي، وتهدف إلى توعية المجتمعات بالآثار المدمرة لهذا التأثير على الأمن الثقافي والسياسي في الشرق الأوسط.

لكن الطريق لم يكن سهلاً. كلما اقترب من هدفه، كانت تظهر تحديات جديدة، ليس فقط من الأعداء الذين يعارضون أفكاره، بل من داخل مجتمعه أيضاً. فقد وجد نفسه في مواجهة مع أشخاص لا يفهمون التوجهات التي يسعى إليها، أو من يعتبرون أنه يتحدّى مسلمة أزلية ومقدسة. لكنه كان يعلم في أعماقه أنه لا بد من المضي قدماً. كان يرى أن مشروعه ليس فقط خدمة للمسلمين، بل للإنسانية ككل، لأن ما يواجهه العالم من هيمنة صهيونية هو تهديد للجميع، وللأجيال القادمة. وكانت التحديات الكبرى تكمن في كيفية نشر الوعي بشكل يتجاوز الخطابات التقليدية، وكيفية تحفيز الأفراد والمجتمعات على مواجهة هذه القوى الاقتصادية والإعلامية التي تتحكم في سرديات التاريخ والمستقبل.

ومع مرور الوقت، بدأ صدى المركز يمتد إلى ما هو أبعد من حدود الوطن، فقد أصبحت أبحاثه وندواته محط اهتمام دولي. كان المركز الذي أسسه عبدالله بمثابة منارة جديدة للثقافة والتسامح، حيث جمع بين الفكر العميق والتوجه الإنساني الذي لا يقتصر على دين أو عرق، بل كان يدعو إلى قبول الآخر، سواء كان من الشرق أو الغرب. كانت رسالته واضحة: التفاهم بين الثقافات، وتبادل المعرفة، والتعاون في سبيل بناء عالم أكثر عدالة.

ذات يوم، وبعد أن انتهت ندوة عالمية كبيرة استضافها المركز، والتي ناقشت تأثير الهيمنة الإعلامية في العالم الحديث، وجد عبدالله نفسه واقفاً أمام مجموعة من المشاركين في القاعة، يتبادلون الآراء الحماسية عن أهمية ما تم تناوله. كان الشكر والتقدير يملأ الأجواء، وشعر عبدالله بمزيج من الفخر والارتياح لما حققه حتى الآن. أدرك في تلك اللحظة أن رسالته قد وصلت إلى العديد من الأشخاص في مختلف أنحاء العالم، وأن هناك بالفعل أملاً في تغيير الوضع الراهن. قال له أحد المشاركين، وهو أستاذ جامعي من إحدى الجامعات الأوروبية، بابتسامة صادقة:

"عبدالله، ما تقدمه اليوم ليس مجرد بحث أكاديمي. إنه دعوة حقيقية لإعادة التفكير في التاريخ وتحدي ما كان يعتبر غير قابل للنقاش. لقد ألهمتني شخصياً، وأعتقد أن هذا المركز سيكون له تأثير طويل الأمد." ابتسم عبدالله، ولكنه شعر بعمق المسؤولية التي كانت تلازمه. رد قائلاً:

"أنا فقط أحاول أن أكون جزءاً من الحوار الذي يمكن أن يغير العالم. الحقيقة ليست ملكاً لأحد، لكنها حق لكل إنسان."

لكن فرحه الأكبر كان في رؤية التغير الذي بدأ يظهر تدريجياً في المجتمع الذي نشأ فيه. بدأ يشعر أن الأمور تتحسن، وأن التحديات التي مر بها أصبحت الآن مصدر قوة له وللمركز الذي أسسه. بدأت العديد من المؤسسات الأكاديمية والدولية تعترف بجهوده، وأصبح المركز مكاناً يجتمع فيه المفكرون، الباحثون، وصانعو القرار الذين يسعون لفهم أعمق لمجريات الأحداث في العالم، بعيداً عن التأثيرات السلبية للقوى المسيطرة.

وفي تلك الليلة، بينما كان عبدالله جالساً في مكتبه، يعكف على كتابة مقال جديد للمركز، دخل عليه أحد أصدقائه القدامى من أيام دراسته في لندن. قال له مبتسماً:

"لقد أصبحت اليوم أكثر من مجرد باحث. أنت منارة للعديد من العقول التي تبحث عن الحقيقة."

نظر عبدالله إلى صديقه، وأجاب بنبرة هادئة ولكنها مليئة بالثقة: "كل شيء بدأ بحلم. حلم لم يكن متعلقاً بالمال أو الشهرة، بل كان متعلقاً بإضاءة الطريق لأولئك الذين يعانون من الظلام. ما أعيشه الآن ليس فقط نجاحاً شخصياً، بل هو رسالة للأجيال القادمة."

نظرت عيناه في الأفق، كما لو كان يرى المستقبل أمامه، وكان يعلم أن رحلته لم تنته بعد. كان كل إنجاز يحققه يفتح أمامه باباً جديداً للفرص والتحديات، لكنه كان على يقين أن الطريق الذي سلكه هو الطريق الصحيح.

وفي تلك اللحظة، شعر بأن الأحلام التي بدأ بها قد نضجت وأصبحت حقيقة، وأنه الآن في وضع أفضل ليس فقط ليكمل ما بدأه،

بل ليمهد الطريق للأجيال القادمة التي ستكون قادرة على فهم الواقع بشكل أعمق، والعمل من أجل عالم أكثر عدلاً وتسامحاً.

ومع مرور الوقت، بدأ صدى المركز يمتد إلى ما هو أبعد من حدود الوطن، فقد أصبحت أبحاثه وندواته محط اهتمام دولي. كان المركز الذي أسسه عبدالله بمثابة منارة جديدة للثقافة والتسامح، حيث جمع بين الفكر العميق والتوجه الإنساني الذي لا يقتصر على دين أو عرق، بل كان يدعو إلى قبول الآخر، سواء كان من الشرق أو الغرب. كانت رسالته واضحة: التفاهم بين الثقافات، وتبادل المعرفة، والتعاون في سبيل بناء عالم أكثر عدالة.

ذات يوم، وبعد أن انتهت ندوة عالمية كبيرة استضافها المركز، والتي ناقشت تأثير الهيمنة الإعلامية في العالم الحديث، وجد عبدالله نفسه واقفاً أمام مجموعة من المشاركين في القاعة، يتبادلون الآراء الحماسية عن أهمية ما تم تناوله. كان الشكر والتقدير يملأ الأجواء، وشعر عبدالله بمزيج من الفخر والارتياح لما حققه حتى الآن. أدرك في تلك اللحظة أن رسالته قد وصلت إلى العديد من الأشخاص في مختلف أنحاء العالم، وأن هناك بالفعل أملاً في تغيير الوضع الراهن.

قال له أحد المشاركين، وهو أستاذ جامعي من إحدى الجامعات الأوروبية، بابتسامة صادقة:

"عبدالله، ما تقدمه اليوم ليس مجرد بحث أكاديمي. إنه دعوة حقيقية لإعادة التفكير في التاريخ وتحدي ما كان يعتبر غير قابل للنقاش. لقد ألهمتني شخصياً، وأعتقد أن هذا المركز سيكون له تأثير طويل الأمد." ابتسم عبدالله، ولكنه شعر بعمق المسؤولية التي كانت تلازمه. رد قائلاً:

"أنا فقط أحاول أن أكون جزءاً من الحوار الذي يمكن أن يغير العالم. الحقيقة ليست ملكاً لأحد، لكنها حق لكل إنسان."

لكن فرحه الأكبر كان في رؤية التغيير الذي بدأ يظهر تدريجياً في المجتمع الذي نشأ فيه. بدأ يشعر أن الأمور تتحسن، وأن التحديات التي مر بها أصبحت الآن مصدر قوة له وللمركز الذي أسسه. بدأت العديد من المؤسسات الأكاديمية والدولية تعترف بجهوده، وأصبح المركز مكاناً يجتمع فيه المفكرون، الباحثون، وصانعو القرار الذين يسعون لفهم أعمق لمجريات الأحداث في العالم، بعيداً عن التأثيرات السلبية للقوى المسيطرة.

وفي تلك الليلة، بينما كان عبدالله جالساً في مكتبه، يعكف على كتابة مقال جديد للمركز، دخل عليه أحد أصدقائه القدامى من أيام دراسته في لندن. قال له مبتسماً:

"لقد أصبحت اليوم أكثر من مجرد باحث. أنت منارة للعديد من العقول التي تبحث عن الحقيقة."

نظر عبدالله إلى صديقه، وأجاب بنبرة هادئة ولكنها مليئة بالثقة:

"كل شيء بدأ بحلم. حلم لم يكن متعلقاً بالمال أو الشهرة، بل كان متعلقاً بإضاءة الطريق لأولئك الذين يعانون من الظلام. ما أعيشه الآن ليس فقط نجاحاً شخصياً، بل هو رسالة للأجيال القادمة."

نظرت عيناه في الأفق، كما لو كان يرى المستقبل أمامه، وكان يعلم أن رحلته لم تنته بعد. كان كل إنجاز يحققه يفتح أمامه باباً جديداً للفرص والتحديات، لكنه كان على يقين أن الطريق الذي سلكه هو الطريق الصحيح.

وفي تلك اللحظة، شعر بأن الأحلام التي بدأ بها قد نضجت وأصبحت حقيقة، وأنه الآن في وضع أفضل ليس فقط ليكمل ما بدأه، بل ليمهد الطريق للأجيال القادمة التي ستكون قادرة على فهم الواقع بشكل أعمق، والعمل من أجل عالم أكثر عدلاً وتسامحاً.

النضج الفكري والإجابات المنتظرة

لم يعد عبدالله ذلك الشاب المندفع الذي يبحث عن أجوبة سريعة. رحلته الفكرية لم تنتهِ، لكنها وصلت إلى مرحلة النضوج. أدرك أن الحقيقة ليست إجابة واحدة مطلقة، بل هي شبكة معقدة من الفهم والسياق والتاريخ.

كان يدرك الآن أن الدين، التراث، والسياسة، كلها خيوط متداخلة، وأنه لا يمكن فصل أحدها عن الآخر. لكنه تعلم أيضاً أن المعرفة الحقيقية لا تفرض نفسها بالقوة، بل تشق طريقها بهدوء عبر الفهم والحوار.

لقاء الأصدقاء وسرد الرحلة

ذات مساء، اجتمع مع أصدقائه القدامى في أحد المقاهي، حيث دار الحديث سريعاً عن رحلته في بريطانيا.

قال أحدهم بفضول:

"أخبرنا، يا عبدالله، كيف كانت الحياة هناك؟ هل حقاً الغربيون كما كنا نسمع عنهم؟"

ضحك عبدالله وأخذ رشفة من قهوته قبل أن يجيب:

"إنهم بشر مثلنا تماماً... لديهم عيوبهم ومحاسنهم، تماماً كما نحن.

الفرق الوحيد أنهم تعلموا كيف يسألون أكثر مما يجيبون."

نظر إليه صديقه الآخر وقال بابتسامة ساخرة:

"يبدو أنك عدت إلينا فيلسوفًا!"

ابتسم عبدالله وقال وهو يضع فنجانَه على الطاولة:

"ربما، لكنني تعلمت شيئاً واحداً: الأسئلة أهم من الإجابات،

والبحث عن الحقيقة لا ينتهي أبداً."

في تلك الليلة، وبينما كان يتمشى وحده تحت سماء المدينة الصافية، أدرك أن رحلته لم تكن مجرد انتقال جغرافي، بل كانت ولادة جديدة.

تذكر الليلة التي وقف فيها أمام نافذة شقته في لندن، وهو يخبر نفسه أنه لا عودة إلى الوراء. الآن، وهو هنا، في بلاده، أدرك أن الأمر ليس عن التراجع أو التقدم، بل عن الفهم العميق لما كان، وما سيكون. واصل عبدالله سيره في شوارع المدينة التي بدت له وكأنها تعرف كل شيء عن رحلته الطويلة، عن الأسئلة التي طرحها، والإجابات التي لم يجدها بعد. كان يشعر بأن الحياة، بكل تعقيداتها، تفتح أمامه أبواباً جديدة من الفهم كلما تمعن في تفاصيلها. وتذكر في تلك اللحظة تلك الكلمات التي طالما قالها له أستاذه في لندن: "الظلم لا يدوم، والحق يظهر ولو بعد حين."

ابتسم عبدالله لنفسه، وكأنه يلمس حقيقة تلك المقولة التي لطالما كانت مجرد كلمات للعديد من الناس، ولكنها الآن أصبحت جزءاً من تجربته الخاصة. لم يكن يعني بها الظلم في السياسة أو في التاريخ فقط، بل في كل زاوية من زوايا الحياة. الحق ليس مجرد صراع بين قوى متناحرة، بل هو عملية اكتشاف بطيئة، تمر عبر الزمن، تعبر من خلال الأجيال، حتى يظهر في النهاية، مهما طالَت الأيام.

وقفت أمامه صورة واضحة في ذهنه ، صورة للعديد من اللحظات التي كانت مليئة بالظلام ، والتحديات التي بدا فيها أن الأمل بعيد جداً. لكن كلما تمعن أكثر في هذا الفهم ، اكتشف أن الحق لا يتجسد في اللحظات السريعة ، بل في التفاصيل الصغيرة التي تتراكم على مرّ الزمن.

قال بصوت خافت وهو يتنهد :

"قد يطول الليل ، لكن الفجر قادم."

نظراته كانت مليئة بالأمل ، وكان يدرك أن الإجابات التي ظل يبحث عنها ليست شيئاً ملموساً يمكن امتلاكه ، بل هي عملية مستمرة من الفهم والنمو ، وأنه رغم كل شيء ، الحق سيظهر ، وفي النهاية ، لن يبقى سوى الحقيقة.

خاتمة الرواية

وقف عبدالله أمام البحر، حيث كان الليل يسكن الأمواج، وتنساب المياه بهدوء على الشاطئ، كأنها تعزف لحناً هادئاً يحمل في طياته الراحة والطمأنينة. كان في تلك اللحظة يشعر بحجم المسافة التي قطعها في رحلته، وهي ليست مسافة مكانية فحسب، بل كانت رحلة عميقة في داخل نفسه. رحلة لم تكن مجرد بحث عن المعرفة أو الفهم الأكاديمي، بل كانت أيضاً رحلة بحث عن الحقيقة التي يراها تنبثق من تداخل الثقافات والأفكار، والتي لا يمكن فهمها إلا إذا تم استيعاب التفاعل الدائم بين الماضي والحاضر، بين ما كان عليه الإنسان وما يجب أن يكون عليه في المستقبل.

أدرك عبدالله الآن أنه لا يمكن لأي تغيير حقيقي أن يحدث إلا إذا فهمنا بشكل عميق كيف يتشابك التاريخ مع الحاضر، وكيف أن ما كنا عليه في الماضي يمكن أن يكون مفتاحاً لفهم المستقبل، وكيف أن الحوارات بين الثقافات المختلفة ليست تهديداً بل فرصة لإعادة التفكير والتطوير. ليس فقط عن أنفسنا بل عن العالم بأسره.

في حديثه الأخير مع مجموعة من المفكرين الذين زاروا مركزه، كان عبدالله قد عبر عن فكرتين أساسيتين تشغلان تفكيره:

"إن العالم لا يتحرك إلا عندما يتعلم الناس كيف يسألون أسئلة جديدة. الأسئلة التي تتجاوز الحدود، التي لا تعترف بالتقاليد المغلقة، التي تفتح أبواب الفهم وتؤدي إلى الطريق الصحيح، حتى لو كان هذا الطريق مليئاً بالتحديات. العالم يحتاج إلى أكثر من مجرد إجابات

جاهزة. يحتاج إلى الناس الذين لا يخافون من أن يطعنوا في المسلمات، لكي يواجهوا حقيقة أكثر إنسانية، أكثر رحمة."

كانت كلماته تحمل في طياتها ثقل تجربته الشخصية؛ فالعالم، كما اكتشفه، ليس مكاناً ثابتاً تملؤه الحقائق الجاهزة، بل هو فضاء واسع مليء بالأسئلة التي تحتاج إلى من يجرؤ على طرحها، وأسئلة تعيد تشكيل الفهم العميق للحياة. لم يعد عبدالله يرى العالم كما كان في الماضي، مجرد مكان يعرفه بشكل محدود، بل أصبح يراه كلوحة واسعة تزداد تفاصيلها مع كل سؤال يطرحه، وكل فكرة يفرض تقبلها لمجرد أنها كانت موجودة من قبل.

عندما نظر إلى السماء المظلمة، حيث كانت النجوم تضيء في عتمة الليل، شعرت نفسه بالسلام العميق الذي جاء بعد فترة من الجدل الداخلي. كانت الأفكار تتداخل في رأسه، لكنه بدأ يلاحظ شيئاً مهماً. مع مرور الزمن، ومع تراكم المعرفة، أصبح أكثر يقيناً أن الحقيقة لا تأتي دفعة واحدة، بل هي عملية مستمرة من الفهم والبحث. الحقيقة ليست حقيقة ثابتة، بل تتشكل ببطء، تحتاج إلى نقد جريء، وقرارات شجاعة. نعم، كُثر قد يظنون أن الحقيقة سريعة الظهور، ولكن الحقيقة في عمقها تتطلب تأملاً متواصلاً وعمقاً في التفكير.

كان عبدالله يعتقد في لحظات كهذه أن الحقيقة لا تنكشف عبر الثبات أو التمسك بأفكار ثابتة، بل عبر التفاعل المستمر بين العقل والقلب. وها هو قد اكتشف في نفسه وفي حياته أن الرحلة لم تكن عن إيجاد الإجابة النهائية، بل عن تكوين الأسئلة التي تُحفز العقل على الاستمرار في البحث، والإنسان على تحدي ذاته وإعادة التفكير فيما يعتقد. فالسؤال هو البداية، والنقد هو المحرك، والبحث هو الوسيلة.

وقال عبدالله لنفسه، وهو يتسم في عتمة الليل: "ربما لم أتمكن من إيجاد جميع الإجابات، ولكنني قد وجدت الطريقة الصحيحة للسؤال. وهذه هي البداية الحقيقية. لا شيء أكبر من أن تكون قادراً على البحث عن الإجابة، حتى وإن كنت تعلم أن هذه الإجابة قد تظل دائماً في الأفق البعيد. يكفي أنني بدأت في الطريق الصحيح، وأنني تعلمت أن الاستمرار في السؤال هو ما يحقق التغيير."

كانت تلك اللحظة بالنسبة لعبدالله بمثابة التأكيد على ما تعلمه طوال رحلته. تلك اللحظة التي أدرك فيها أن الأسئلة هي ما تجعل الإنسان حياً، وأن البحث عن الحقيقة هو ما يعيده إلى جوهره. في نهاية المطاف، ما يهم ليس الإجابة النهائية التي قد تكون غامضة أو بعيدة، بل ما يبقى من هذه الرحلة: التغيير الداخلي، التحول في فهم الذات والآخرين، والمثابرة في طرح الأسئلة التي تكشف عن الحقيقة ولو بعد حين.

وفي تلك اللحظة، بينما كان يقف على شاطئ البحر تحت سماء مرصعة بالنجوم، شعر بأن مهمته قد بدأت للتو. على الرغم من أن الطريق طويل، والعديد من الأجوبة ما زالت غير واضحة، إلا أن شيئاً واحداً أصبح جلياً في قلبه: كل ما يحتاجه هو أن يواصل السؤال، وأن يتبع شغفه للمعرفة. "الطريق طويل، ولكنني لن أتوقف عن البحث"، قالها في نفسه، وهو يتنفس عميقاً. "ربما لم أجد كل الإجابات بعد، لكنني تعلمت أن الطريق إلى الحقيقة يبدأ من السؤال. وهذا يكفي."

الفهرس

5.....	الشخصيات الرئيسية في رواية "بين الشك واليقين"
8.....	المقدمة
11.....	الفصل الأول: الرحيل والبحث عن الحقيقة
34.....	الفصل الثاني: صراع المعتقدات
44.....	الفصل الثالث: صداقات جديدة واكتشافات مفاجئة
50.....	الفصل الرابع: الحصان الجامح
61.....	الفصل الخامس: الغوص في الفكر اليهودي
69.....	الفصل السادس: ازدواجية المعايير
76.....	الفصل السابع: الصدام مع الموروث
97.....	الفصل التاسع: البحث عن الحقيقة
109.....	الفصل العاشر: بين الشرق والغرب
130.....	الفصل الحادي عشر: تحقيق حلم عبد الله
142.....	الفصل الثاني عشر: العودة إلى الوطن
148.....	الفصل الثالث عشر: المحاضرة والتفاعل
165.....	خاتمة الرواية